٧٤٨٨
١٣٩٣/١١
٢٤٨

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

العدد التاسع — المجلد ٢٨

جمادى الثانية ١٤١٣هـ — نوفمبر و ديسمبر ١٩٩٢م

تصدرها

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكناؤ الهند

72386 – 73864 REGD No LW /NP 59

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** (MONTHLY)

OCTOBER & NOVEMBER — 1993

صدر حديثاً :

الملك الصالح المصلح

السلطان محي الدين اورنگ زيب عالمگير

حامل الأمير الأثورية المغولية الكبيرة المتدة

من شرق الهند إلى غربي أفغانستان

حياته الدينية الزاهدة، أعماله الإصلاحية الحاكمة

وماثره التنظيمية والإدارية والتدوينية

قطعة ملتقطة من كتاب

"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"

للعلامة الشريف عبد الحي الحسني رحمه الله

قام بالنشر

دار عرفات دارة الشيخ علم الدراي بريلي (الهند)

المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكهنؤ (الهند)

قام بالنشر و التوزيع شاهد حسين (مؤسسة الصحافة و النشر) ندوة العلماء

رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـأهـا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في عام ١٩٥٥م ١٣٧٥هـ

البعث الإسلامي

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

العدد التاسع - المجلد الثامن و الثلاثون

جمادى الثانية ١٤١٤هـ - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٣م

المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٣ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box. 93, Lucknow (INDIA)

إلى إخواننا القراء الكرام

إن مجلتكم « البعث الاسلامى » تجتاز الآن عامها **الثامن و الثلاثين** ، و ذلك بتوفيق الله تعالى وحده ، فنحمد الله تعالى على ما أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، وندعوه أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود على هذه الجبهة الدقيقة فى الظروف القاسية التى تجتازها الأمة الاسلامية ويتعرض لها المسلمون فى كل مكان ، نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى تتحمله الآن .

و على ذلك قررنا زيادة فى قيمة الاشتراكات ، رجاء أن تكون فى صالح المجلة . والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مأة روبية ثمن النسخة عشر روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .
و ٣٦ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93,
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

في هذا العدد

الافتتاحية :

الإسلام ... المسلمون ... والدور اليهودي — سعيد الأعظمي — ٣

التوجيه الإسلامي :

إلى الشباب المسلم المقيم في ديار الغرب — سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ١٢

السيرة النبوية وأهميتها في فهم الإسلام — سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة — ٢١

الدعوة الإسلامية :

التهديد .. بين الصواب والخطأ — سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر — ٣٠

أدب الرسول -ﷺ- — الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي — ٣٩

دراسات في السنة :

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه — سعادة الدكتور تقي الدين الندوي — ٤٥

بين الضعيف والموضوع من الأحاديث — فضيلة الشيخ عبيد الله الأسعدي — ٥٢

تعريف وجيز بمسانيد الامام الأعظم .. — فضيلة الشيخ عبد الرشيد النعماني — ٦٤

دراسات و أبحاث :

تصارع الحضارات — سعادة الدكتور شوكت محمد عليان — ٧١

نظرة تاريخية سريعة حول .. — سعادة الدكتور محمد عبد الشهيد النعماني — ٨١

صور و أوضاع :

الكارثة الطبعية . وكارثة طبيعة الإنسان — الأستاذ واضح رشيد الندوي — ٩٢

إلى رحمة الله :

الأستاذ عبد العزيز الرفاعي — سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي — ٩٧

إلى كل من يهمه أمر الدعوة الإسلامية :

تونس اليوم — قلم التحرير — ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

الإسلام ... المسلمون ... والدور اليهودي

يربو عدد المسلمين في العالم كله على ألف مليون نسمة حسب المؤشرات الإحصائية العالمية ، وهو عدد ضخم لا يستهان به ، بل الواقع أن أقل من هذا العدد يكفي للاعتزاز بالمسلمين بإزاء الشعوب الأخرى العالمية ، ولا يزال هذا العدد الهائل في اتساع وزيادة ، ولا سيما بعد الصحوة الإسلامية التي شملت العالم كله وسببت دخول عدد كبير من الناس في الإسلام ، مما جعل القادة الغربيين ، المناوئين للإسلام والمتهيبين منه في قلق وسهر ، ما قر لهم قرار مع وجود هذا الإقبال العظيم على الانضمام إلى الأسرة الإسلامية العالمية ، وأصبحت قضية الصحوة الإسلامية على رأس « القائمة السوداء » لدى الجهات المعنية الدولية التي يشرف عليها « اللوبي اليهودي » الذي اخترع لمحاربتها أساليب من العلم والفكر تارة واستند إلى عوامل العنف والإرهابية تارة أخرى ، ولم يكن له هناك شئ أخوف من الأمة الإسلامية أن تتحد على كلمة الإسلام وتمثل حضارته وتدعو إلى فكرته وتتسلم زمام القيادة العالمية في جميع مناحي العلم والاجتماع والسياسة والحضارة ، ثم يتسنى لها توفير الأمن والسلام والسعادة والهدوء في جميع المجالات الإنسانية ، من السياسة والاجتماع والفكر والإبداع .

ذلك لأن هؤلآء القادة الماديين قد توصلوا بعد دراسات طويلة وعميقة إلى أن الإسلام هو في الواقع دين الإنسان و يزخر بمؤهلات طبيعية هائلة للقيادة و التربية و التوجيه ، لا ينقصه الفكر الإنساني السليم للجمع بين حسني الدين والدنيا بكل توازن ودقة ، ولا تعوزه العدالة

الاجتماعية بجميع مفاهيمها وتصوراتها ، إلا أن الله سبحانه قد كتب لهم الشقاء والحرمان ، لكي لا يستمتعوا من هذه النعمة التي أتمها الله سبحانه على عباده المسلمين ، فامتلأت قلوبهم بغضًا وعداوة للذين آمنوا ، فسول لهم الشيطان أن يكونوا آلة هدم ودمار لكل ما ينتمي إلى الإسلام والمسلمين ، وأن يحولوا العالم الإسلامي الزاخر بألوان من الحضارة الإسلامية إلى كومة من تراب ، وكل ذلك إشفاءًا للغيظ وإطفاءًا لنار البغض والكراهية التي تشتعل في داخل نفوسهم ضد الأمة الإسلامية ورسالة الإسلام ، فيتفوهون بما ينجزونه من عمليات الإبادة وما يملكونه من وسائل إهلاك الحرث والنسل ، ويضمرون ما يخططونه من مخططات سرية ضد القيادات الإسلامية في العالم الإسلامي ، وخاصة في البلدان التي تنفذ فيها الحدود الشرعية ، ويلتزم فيها أهلها بعقيدة الإسلام الأساسية وشريعتها الخالدة ، ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم • وما تخفي صدورهم أكبر﴾ .

وسوف لا نبالغ إذ قلنا إن العالم المادي بحضاراته وفلسفاته وأفكاره السياسية والاجتماعية يدور حول الفكر اليهودي الذي يريدان يسيطر على فكر الإنسان في كل مكان ، ويخضعه للفلسفة اليهودية في كل شأن ، حتى إن الولايات المتحدة الأمريكية التي تفرض قيادتها السياسية والحضارية على العالم كله تخضع اليوم للفكر اليهودي ، وإن ما نسميه اليوم السياسة العالمية ، فهي تابعة لقادة اليهود ، كما أن الأمم المتحدة ليست إلا منبرًا لنفس السياسة اليهودية العالمية ، حيث يسيطر اللوبي اليهودي على جميع قضايا العالم وشعوبه السياسية والاجتماعية ، ومن هنا يحكم هذا اللوبي جميع الشعوب الإسلامية ، ويفرض مرئياته السياسية وفلسفاته الحضارية وأفكاره الشاذة على المستوى الأممي ، ومما هو المشاهد المعلوم لدى الجهات المعنية في كل مكان أن الأمم المتحدة

تتخذ قرارات حول القضايا والمشكلات الساخنة ولكنها لا تجد طريقًا نحو التنفيذ لمجرد أنها تتعلق بالشعوب الإسلامية أو بلدان المسلمين ، ذلك أن السياسة اليهودية المسيطرة على الأوضاع لا ترضى بها ، فتحول دون تنفيذها ، ولا حاجة إلى شرح تلك المشكلات والقضايا التي تشكو بثها وحزنها إلى الضمير العالمي الحساس .

أليست فلسطين ذلك البلد الإسلامي الحبيب الذي يسعد بوجود المسجد الأقصى ومسرى الرسول -ﷺ- في بيت المقدس ، الذي كان محرمًا على اليهود أن يدخلوه ، ولكن المؤامرات التي دبرت في المخادع اليهودية والمراكز الصهيونية بتعاون من قادة المعسكرات العالمية وتأييدهم المخلص ، مهدت الطريق إلى إخراج سكانها العرب المسلمين من ديارهم وطردهم إلى العراء والصحاري والجبال من غير مأمن ولا ملجأ ، وتخلية الجو لاستقدام اليهود من جميع أنحاء العالم ، وإسكانهم فيها ، حتى تحقق الحلم اليهودي في تحويل هذه الأرض المقدسة إلى دولة يهودية اسمها إسرائيل ، وتم لهم الاستيلاء على المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية الأخرى ، والاحتلال في القدس ، التي أعلنوها عاصمة لدولة إسرائيل ، هنالك تظاهر اليهود بأفراح الانتصار والابتهاج بروح الفتح ، وقد أثاروا الفتنة والإرهابية في جميع المجتمعات الإسلامية ، حيث لم يسع للمسلمين إلا الصبر على هذا المصاب العظيم والخسارة الفادحة ، والاسترجاع على ضياع بيت المقدس والمسجد الأقصى .

لم يشهد التاريخ الإنساني مأساة إنسانية تكون قد بلغت في عمقها ومساحتها الزمانية والمكانية إلى ما بلغت إليه هذه المأساة الفلسطينية ، التي نُسجت خيوطها بالدماء والدموع والأشلاء ، والوحشيات التي تخجل أمامها الضواري من السباع والوحوش ، واستمرت هذه المسرحية الذليلة على مرأى من العالم ومسمعه ، وبفصولها البشعة السوداء وأدوارها

البهيمية ، سجلها التاريخ الإنساني بدماء الشهداء الزكية وأقلام المؤرخين المرتجفة ، وما آن لها أن يُسدل عليها الستار ويعلن عن نهايتها الأليمة ، بل وقد فُتح باب جديد لمسرحية فلسطين ، لما قد تم من اتفاقية الأمن المزورة في واشنطن ، يوم ١٣ من شهر سبتمبر على يد زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد استنكرتها الجهات المنصفة في العالم كله ، وسمتها صفقة الخيانة ، حيث إنها لا تعنى إلا الاعتراف بدولة إسرائيل في فلسطين ، والعيش في ظلها وتحت رحمتها .

وقد علقت الصحف العربية التي تصدر في عواصم العالم الإسلامي على هذه الاتفاقية بشئ كثير من الأسف والألم ، وكشفت عن حقائق مذهلة مما يتعلق بهذه المساومة القاتمة ، ولو لا أن جُنة الصبر والحكمة حالت دون رفضها وضربها عرض الحائط ، لحدث لها رد فعل عنيف ، لم يمسكه إلا رد فعل مثله ، ولكن الله سبحانه لطف بالأمة وصانها من ظروف القسوة والعنف والإرهابية ، ولله في شئونه حكم ومصالح لا يدريها إلا هو .

أما الإسلام فهو مستهدف من دول الغرب والشرق القوية ، ومن جميع العصبيات المتطرفة التي توجد في جميع أنحاء العالم ، وقد أُعد لإنجاز « هذا المشروع » أفواج من الرجال وأكداس من الأموال ، وأسباب و وسائل ، وتستمر الجهود في هذا السبيل بغاية من الجد والنشاط ، فبينما كانت تنحصر هذه النشاطات ضد الإسلام في نطاق الغزو الفكري إذا بها تتسع إلى العمليات الإرهابية والتصفية الجسدية ، واليهود هم أقوى عوامل القمع والظلم ، وهم الذين يحاولون اقتلاع جذور الدين الإسلامي ، بإزالة هيبته وإضعاف عقيدته وتفنيد شريعته وحدودها وأحكامها ، وذلك بإنشاء جيل من المسلمين أنفسهم تكون رؤيتهم نحو الإسلام مضادة لرؤية السلف الصالح ، فلا ينظر إلى الإسلام إلا من خلال منظار الغرب المادي ، وهو يتهم الإسلام بالأصولية والتمسك بالجذور ،

ويراه بعيدًا عن الحقائق الحضارية وقضايا العلم المعاصرة .

إن هذا الجيل الذي أشرف على تربيته اليهود المغضوب عليهم ، يوالي سادته ويضم صوته إلى صوتهم بدافع من الحسد والغيظ ضد الدين الإسلامي ، وهو لا يراعي في ذلك إلا ولا ذمةً ، ويستخدم جميع الوسائل المتوافرة لديه لصرف الشباب المسلم عن أي رغبة في هذا الدين وصده عن الإقبال على الشريعة ، وله جولة وصولة في أنحاء العالم شرقًا وغربًا يساعد على إثارة الفتن والشبهات حول الدين ، ويقلل قيمة الإسلام في العالم الحديث ، مستدلاً على ذلك بتخلف المسلمين والعالم الإسلامي في شئون السياسة والعلم والحضارة .

هكذا يبسط اليهود نفوذهم في المجتمعات الإنسانية التي تتعطش إلى الدين ، وتتمنى الخروج من شقاء المادية وعذاب الالتزامات الحضارية إلى منهج عادل للحياة ، يلهمها الأمن والسعادة ، ولكنها تبوء بالخيبة والإخفاق ، فهيهات أن تحقق غايتها وتنال بغيتها ، وتخرج من حصار اليهودية الظالمة .

إن رد المؤمنين المسلمين إلى الكفر والنفاق من أحلى أماني اليهود منذ فجر التاريخ الإسلامي ، لقد كانوا يضللون المسلمين عن دينهم ويدعونهم إلى اليهودية ويؤكدون أن الإسلام لا يحمل لهم أي سعادة أو عزة ، إنما هو النظام اليهودي وحده الذي يتكفل لهم بالهدوء والهناء ، ولذلك نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم حينما وجهت إليهم دعوة الإيمان ، يقول الله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله • قالوا نؤمن بما أنزل علينا • ويكفرون بما وراءه ﴾ وكم كانوا يودون أن يراودوا المسلمين ويردوهم عن دينهم ، وإن كانوا يتظاهرون بالولاء للمسلمين ، ففضحهم الله وكشف عن نواياهم قائلاً : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ .

من هنالك كان موقفهم من الإسلام موقف البغض والعداء ، وكانوا يرونه دينًا مناهضًا لكانتهم في المجتمع ، وزعمهم بأنهم شعب الله المختار ، فامتزجت هذه العداوة بلحومهم ودمائهم ، وشبت عليها أجيالهم ، فضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله .

لقد أشار إلى هذا الواقع اليهودي الأستاذ الشهيد السيد قطب في سياق حديثه عن اليهود المغضوب عليهم ، يقول : « ولقد كان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأن فيهم الرسالة والكتاب ، فكانوا يتطلعون أن يكون الرسول الأخير فيهم كما توقعوا دائمًا ، فلما أن جاء من العرب ظلوا يتوقعون أن يعتبرهم خارج نطاق دعوته ، وأن يقصر الدعوة على الأميين من العرب ، فلما وجدوه يدعوهم - أول من يدعو - إلى كتاب الله ، بحكم أنهم أعرف به من المشركين ، وأجدر بالاستجابة له من المشركين ، أخذتهم العزة بالإثم ، وعدوا توجيه الدعوة إليهم إهانة واستطالة .

ثم انهم حسدوا النبي -ﷺ- حسدًا شديدًا ، حسدوه مرتين : مرة لأن الله اختاره وأنزل عليه الكتاب - وهم لم يكونوا يشكون في صحته - وحسدوه لما لقيه من نجاح سريع شامل في محيط المدينة : « في ظلال القرآن » ج/١، ص/٢٩ .

يتبين بذلك موقف اليهود العدائي من الإسلام ورسول الإسلام والأمة الإسلامية ، وهم مكبون منذ فجر التاريخ الإسلامي على نسج حبائك المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين ، وقد استشرت فيهم هذه الطبيعة الانتقامية بدوافعها السيئة الذميمة في العالم الحديث اليوم ، فيريدون القضاء البات النهائي على مجتمعات المسلمين وحكوماتهم ومقدساتهم ومراكزهم الدينية والحضارية ، وقد قاموا بتخصيص ميزانية هائلة لتحقيق هذا الغرض ، وبثوا عيونهم وعملاءهم في كل مكان لتنفيذ

المخططات والبرامج الهدامة التي تتولى تشويه سمعة الإسلام وتنفير المسلمين بوجه عام وقطع رجائهم ، عن المنهج الإسلامي للحياة ، في عصر الحضارات والفلسفات ، ولهم في ذلك جولات وصولات وفرص متاحة و وسائل متوافرة من الرجال والأموال .

وهل يخفي على مطلع خبير أن الإعلام العالمي بجميع أشكاله وآلاته و وسائله يتحكم فيه « العنصر اليهودي » ويفرض سيطرته على جميع البرامج الإعلامية ويتكفل بإدخال أحدث الآلات والأجهزة على آخر المستوى الإبداعي حتى لا يبقى جزء من العالم إلا ويتمتع بالمنتجات الإعلامية وبرامجها الموبوءة التي تكفى لنشر الفساد في المجتمعات الشبابية بوجه خاص وهدم معنوياتهم واهتماماتهم ببناء المستقبل .

كذلك يسيطر الفكر اليهودي الخالص على نظام التعليم العالمي في مناهجه وبرامجه وفي تحديد مواده والكتب التي تدرس في المقررات الدراسية ، وكذلك في ترتيب الحصص وتنظيم المحاضرات وتحديد الإجازات ومواعيد الفحوص والامتحانات ، وتعيين مواعيد افتتاح العام الدراسي ونهايته ، وكذلك في تنظيم الرحلات والسياحات للطلاب والمربين في الجامعات .

يحاولون في كل ذلك تقريب الأذهان إلى الفلسفات المادية وتحبيب حضارتهم وتاريخهم إلى النفوس ، مما تتضرر به الروح الإسلامية ويتقوى به الشعور بتخلف الفكر الحضاري والإبداعي لدى المسلمين ، بل باعتبار الحضارة الإسلامية ومبادئها الأساسية واقعا ضعيفًا في المجتمع الإنساني ، لم يساعد الإنسان في التقدم العلمي والإبداعي يومًا ما .

يتخرج الشباب الجامعي من الجامعات العصرية بهذا الشعور ، وهو يعتبر الدين الإسلامي دين الكهوف والمغارات الذي لا يصلح لعصر العلم والحضارة ولا يساير ركب العالم المتغير في شئ .

أما الصرافة العالمية فهي المجال المألوف لليهود من أول تاريخهم يجولون فيه على أوسع نطاق ويتصرفون في الأسواق المالية بحرية كاملة حسبما توحى إليه أهواؤهم وتتطلب منهم ظروفهم الخاصة من ترويج المعاملات الربوية في المجتمعات الإسلامية .

هكذا يتسنى لليهود السيطرة الكاملة على جميع الأجهزة الاقتصادية والمالية وعلى جوانب العلم والاجتماع والحضارة التي تجمعها « كلمة السياسة العالمية » وهي المحور الأساسي الذي يدور حوله اللوبي اليهودي في العالم اليوم ، ويمتلك زمام القيادة العالمية بقبضة من حديد .

إن الحرب التي يشنها اليوم العدو اليهودي علينا من جميع الجهات والجبهات بوسائل القمع والإرهاب مرة ، و من طريق الغزو الفكري والاقتصادي مرة أخرى ، إنما هي تحدٍ سافر للأمة الإسلامية جمعاء ، بقطاعاتها المختلفة ومجتمعاتها ودولها الإسلامية ، فلابد من رد هذا التحدي سواء كان بالصمود في وجه المكائد اليهودية وإيقاف رحى الحرب الصامتة بوسائل لازمة ، واتخاذ الحكمة الدعوية والإيمانية التي واجه بها الرسول -ﷺ- أمة اليهود ، ورد بها مكائدهم في نحورهم ، فذلك هو الطريق السليم لمقاومة الغزو اليهودي والإرهاب الصهيوني ، وما هو إلا أن نعمل بإخلاص وجدٍّ لنشر الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح ، وبث الوعي الديني والفكر الإسلامي في المجتمعات الإسلامية ، وتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة مع استخدام الوسائل الحديثة للإعلام والاستفادة من العلوم والخُبرات والتجارب التاريخية والحضارية التي يعتمد عليها العالم البشري اليوم ، مع الحفاظ على روح الإيمان والورع ، والتضحية بالنفس والمال ، في هذا السبيل على بصيرة كاملة ، يقول الله تعالى ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

إلى الشباب المسلم المقيم في ديار الغرب

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

اخوتي الأعزاء !

تحياتي إليكم على بعد الدار ومن وراء البحار ، تحيات صادرة من قرارة القلوب وأعماق النفوس ، مغمورة بالحب والإخلاص وعاطفة الأخوة الإسلامية الصادقة .

إن وجودكم في قلب أوربا أو أمريكا وفي مصدر الحضارة العربية العالمية والنشاط الثقافي أو الصناعي الذي غزا العالم ، لا أعتبره حادثة اضطرار لم تكن عن رضا واختيار ، ولا مأساة تستحق المواساة ، إنما اعتبره - مهما كانت الأسباب والدوافع لهذه الهجرة المؤقّة أو الدائمة - هبة من الله وتيسيرا منه وفتحا من الفتوح التي سعد بها الإسلام والمسلمون في تاريخهم الطويل .

إنها سعادة ومكسب لكم في حياتكم الشخصية المحدودة ، وسعادة ومكسب للمجتمع الذي تعيشون فيه ، المجتمع الذي قدر له أن يسوق العالم ويملى عليه إرادته وهواه ، المجتمع الأوربي بالمعنى الواسع الذي يشمل بريطانيا وأمريكا والقارة الأوربية بأسرها .

إنها فرصة تفتح فيكم كوةً جديدةً للإيمان والثقة بالإسلام ، والاقتناع بما حواه القرآن ، ودعوة الأنبياء في عصورهم ، ودعوة آخر الرسل في عصره الذي لا نهاية له إلا بنهاية هذا العالم ونهاية الحضارة البشرية ،

كوة لا تنفتح إلا في مثل المجتمع الذي تعيشون فيه اليوم وفي « معمل » الحضارة الغربية الذي لا يوجد في الشرق وفي بلاد الإسلام ومهد الحضارة الإسلامية .

وهي تفتح كوة جديدة في المجتمع الأوربي ، تجربة جديدة في عالم الأفكار والقيم ، وصدمة للفكر الأوربي ، وتحريك له بعد ما جمد وتوقف عن الابتكار و الثورة منذ زمن طويل ، و اشتعل بالإعادة و عمل « الاجترار» (١) لا يطلب جديدا ولا يأتي بجديد .

أما في ما يخص نفسكم - أيها الشباب المسلم المغترب - فقد قالوا إن المجتمع الإنساني المتمدن يمكن ، لا بل يجب أن يقوم على غير أساس الإيمان وتعاليم الأديان والقيم الخلقية والرسالات السماوية ، إنه يستطيع أن يقوم على أساس العلم ، والتنظيم والصناعة والاقتصاد ، والوعي السياسي ، والقومية ، والوطنية ، والاتفاقات ، والتعهدات الاجتماعية والدستورية ، وإن المجتمع ليسعد ويترفه بالوسائل والآلات التي تمنحها علوم الطبيعة والكيمياء ، وتسخير الكون والطبيعة لصالح الإنسان ورغباته وطموحه ، وتذليل العقبات التي كانت نتيجة الجهل للعلوم الكونية والطاقات البشرية ، وإن سر شقاء الإنسان في العصر الماضي صعوبة التعارف والتفاهم بين أعضاء الأسرة الإنسانية في أنحاء الأرض وفي مختلف القارات والأقاليم .

لقد ألح الغرب على هذا المعنى ، وتحمس له تحمس المؤمنين الجدد ، وكان هتافه « لا إله ولا دين ، ولا غيب ، ولا إيمان ، ولا روح ، ولا أخلاق ،

---

(١) اجتر البعير : أعاد الأكل من بطنه فمضغه ثانية .

ولا آخرة ، ولا مبادئ » فأصبحوا في الزمن الأخير يحاربون المتقيدين أو المحترمين للمبادئ الدينية أو الخلقية ويسمونهم (Fundamentalists) (المبدئيين) ، وإنما هو حس وتجربة ، أو لذة أو منفعة ، أو قومية و وطنية ، أو غريزة وعاطفة ، أو ديمقراطية وجمهورية ، أو اشتراكية وشيوعية ، وبرز في الميدان أئمة هذه الفلسفات وأبطال هذه الدعوات وتلاميذهم ومعارضوهم على اختلاف فلسفاتهم ونزعاتهم وكثرة مذاهبهم ، وتوزعوا العالم الغربي ، وخضع لهم كل شئ وازدهرت مدارسهم مدة طويلة ، ولا تزال تسيطر على العقول والآداب ، ومراكز السياسة ودور الاختيار ، والمجتمع الأوربي المعاصر قد اقتبس من كل هؤلاء وتأثر بمجموعهم في قليل أو كثير ، وآمن بالقدر المشترك بينهم وهو « المادية » .

منحت أوربا فرصة تحقيق هذه المبادئ التي آمنت بها ، في سخاء وحرية لا نظير لها في تاريخ الحضارات ، وهي أطول فرصة مع أعظم مقدار من الآلات والوسائل والتسهيلات التي تمنح القيادات في التاريخ ، على يد عمالقة نوابغ عبقريين في العلم والاختبار والتنظيم والإدارة ، وليست على وجه الأرض قيادة تعارض هذه القيادة أو دولة قوية تعرقل سيرها وقد وضعت الكنيسة النصرانية أوزارها قديما أمام طموح أوربا المادي والفكري والنهضة العقلية الوثابة التي لا قبل لها بها ، وخضع الشرق الإسلامي لغزواتها السياسية والفكرية في القرن التاسع عشر المسيحي ، و خلا لها الجو ، و دان لها العالم ، بشرقه و غربه ، و شماله وجنوبه .

لقد أمكن أوربا المادية أن تبرز جميع مواهبها ، وأن تمثل « المادية » على المسرح في جو مملوء بالهتاف والتصفيق ، والتأييد والتصديق ،

فإذا كان لمسرحية في العالم أن تنجح كان ذلك لهذه المسرحية التي يمثلها أبرع رجال في أوفق أحوال .

ولكن ماذا كان ؟ أخفقت هذه المسرحية التي كانت حصيلة أذكى عقول بشرية وأغنى قرائح إنسانية في أهدافها ومراميها إخفاقا لم يعرف في التاريخ .

عداء داخلي وخارجي ، وصراع بين الأفراد والطبقات والشعوب ، غيوم الحرب الكثيفة التي تغشى العالم كله وبركان متهيئ ، للانفجار لأدنى مناسبة ، ونذر صارخة لنهاية البشر الأليمة ، وفقدان الثقة والهدوء والأمن العاطفي ، وتسلط الذعر والفزع على الأعصاب وقلق دائم ، وتفسخ خلقي فظيع يتخطى القياس ، وفراغ روحي هائل لا يملؤه شئ ، وسآمة لا نهاية لها ولا علاج ، وتشاؤم ويأس وحيرة .

إن فرصة إخفاق الحضارة الغربية قصة معادة مكررة ، ولكنها قصة يجب أن تروى وتتلى وتعاد وتكرر ، وهي قصة تهمّ الإنسان في كل مكان وتتصل به وبحياته من أقرب طرق ، ولأن في الشرق من لا يزال يؤمن بعصمة هذه الحضارة وقداستها ولا يصدق أن مثلها يخفق ويخيب ، أو أنها قد أفلست في معنوياتها وهو يراها تبرهن على وجودها وقوتها في الشرق والغرب .

إنكم أيها الشباب المسلمون المغتربون ، بمسمع ومرآي من هذه الحضارة ، تكتوون بنارها و تعيشون في وسطها و تشاهدون إخفاقها و تهيّؤها للانهيار في كل مكان ، تشاهدون ذلك في أخلاق الساسة وقسوتهم وموت العاطفة الإنسانية في قلوبهم ، وفي أخلاق الشعب ورخص قيمة الأعراض في عينه ، وهدر الكرامة الإنسانية وضياع القيم الخلقية وفشو الجنايات

والسفالات في المجتمع ، وعجز قادة الفكر والسياسة عن إيجاد رسالة إنسانية تنفخ روحا جديدة في المجتمع وتسوق الأمم نحو هدف واحد وتجمع شملها ، وعن مل ء الفراغ الروحي ، وعن إعادة الهدوء والسلام والثقة بالإنسان ومستقبله إلى غير ذلك مما يتسم به هذا المجتمع الراقي الذي بلغ أوج الحضارة والتنظيم والوعي .

ويتجلى لكم بعد ما شاهدتم هذه الآثار ان كل مجتمع لا يقوم على أساس « الإيمان » إنما هو مجتمع يقوم على شفا جرف هار ، لابد له ان ينهار ، وان طال أمده واتسع سلطانه ، ولا سبيل إلى « الإيمان » إلا دعوة الأنبياء والرسل وسيرتهم ، الذين يملأون الأمم الواسعة والجماهير الكثيرة بالروح الخلقية وقوة الإيمان والإنسانية السامية التي ليس فوقها إلا الصفات الالهية ، ويشعلون قلوب الملايين - من غير مدارس وجامعات ومجامع علمية و وسائل للنشر والتأثير - إيمانا وحماسة وزهدا في المطامع والزخارف وقوة مقاومة للشهوات وإيثارا للآخرة على العاجلة ، وإيثارا لغيرهم على نفوسهم ، وحبًا لله الذي لا يرونه بعيونهم ولا تتناوله حواسهم ، والتفاني في رضاه ، وهذه سيرتهم ، وكتب التاريخ تحكى عنهم وعن أتباعهم كل غريب وكل معجب ، ولولا التواتر ، ولولا الآثار لسارعت النفوس إلى تكذيبه والشك فيه ، وهم الذين أنقذوا البقية الباقية من الحضارة والمجتمع البشري من الغرق في آخر لحظة ، وفيها التراث الحضاري وكل ما شاده البشر في آلاف من السنين ، وصانوا القيم الخلقية والمفاهيم الصالحة من الضياع والتلف إلى آخر الأبد ، ومدوا في أجل السلالة البشرية ومنحوها - بجهادهم الطويل وإخلاصهم العميق - حق البقاء وجدارة الحياة .

ومن المقرر المشاهد الذي لا شك فيه أن هذه الأديان التي أسعفت الإنسانية في أزماتها ومحنها المختلفة - وفضلها لا ينسى في تاريخ المدنية - قد فقدت قوتها وحياتها مع امتداد الزمان وطوارق الحدثان وأصبحت فتيلة قد نفد زيتها واحترق خيطها ، أو كحبوب عصرت إلى آخر قطرة ، فهي لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وهي ليست من القوة والحياة بمكان تستطيع فيه أن تقاوم هذ المدنية القوية وإغراءاتها الجارفة ، وليس في الذين لا يزالون يدينون بها ويحملون أسماءها ثقة بهذه الأديان وصلاحها لكل زمان ومكان ، وحماسة للدعوة إليها والجهاد في سبيلها ، ولمواجهة المدنية العصرية وتحدياتها ، وجلهم أو كلهم قد وضع أوزاره أمام المادية الغربيه واعتزل المعترك وآمن بأن « المادية » لا مفر منها ، وأنها مصير الإنسانية المحتوم .

إنما هنالك - *أيها الاخوة المسلمون الشباب* ! - دين لا يزال في حياته وأصالته ونقائه ، ولا يزال أهله يعتقدون أنهم مأمورون بتبليغ الرسالة وإنقاذ المدنية والحسبة على الإنسانية ، ومسئولون أمام الله وأمام الخلق عن اتجاهات هذا العالم ، ويمتازون بين أهل الأديان بأربع ميزات بارزة :

الميزة الأولى : وجود هذا الكتاب العظيم المتدفق بالحياة ، الكفيل بسعادة البشرية وتوجيهها ، يحمل أعظم علم وأعمقه بين دفتيه ، ويملك أعمق تأثير في القلوب والعقول ، وهو ثروة البشرية العظمى والمعين الذي لا ينضب ، والمدد الذي لا ينفد ، قد أحدث أعظم ثورة في تاريخ البشرية ، ويستطيع إذا أطلق له العنان وحكم في قيادة الإنسان أن يحدث أعظم ثورة مرة أخرى .

والميزة الثانية : هذه السيرة النبوية العطرة التي هي أجمل صورة على

الإطلاق في مجموع الصور البشرية الفنية ، وأعظم صفحة مشرقة في تاريخ البشر ، تعيد إلى الإنسانية كرامتها ومكانتها ، وتعيد الثقة والاعتزاز في نفس الإنسان بأشرفية النوع الإنساني ، الصورة التي لا يملك أمامها الإنسان - إذا لم يفقد حس الجمال وحب الكمال - إلا أن يفتخر بأنه من نوعه ومن بنى جنسه ، ويتمنى أن يتسامى بتقليده للصور التي يجد فيها كل إنسان قوة وسكينة وأسوة وقدوة وحياة وتوجيها وجوانب مشرقة تفتح منافذ جديدة ، وتثير معاني جديدة ، وهذه الصورة لا تزال بملامحها وقسماتها الأصيلة لم تطوها يد الزمان .

والميزة الثالثة : وجود الشريعة الإسلامية كما تركها صاحب الرسالة محفوظة في أصلها وأساسها غنية في ثروتها الفقهية ، صلبة مرنة لا تتنازل عن القديم ولا تتجهم للجديد ، لا تخجل من ماضيها ولا تفر من حاضرها ، تالدة خالدة ، صالحة لكن عصر وبيئة ، تعطى الأسس الحكيمة التي يقوم عليها مجتمع جديد وحضارة صالحة .

والميزة الرابعة : وجود العاطفة الدينية القوية في المسلمين ، على علاتهم ومواضع الضعف فيهم ، وانقيادهم للدعوة الدينية وخضوعهم لها، إذا وجد الدعاة المخلصون ، وهذه قوة قد فقدها وأفلس فيها عامة الأمم الغربية ، وهي قوة لا يعرف قيمتها إلا من اشتغل بالدعوة والتجديد الديني في أمة من الأمم ، ومن رأى إخفاق هؤلاء الدعاة في إعادة الحياة الدينية والروح الدينية في هذه الأمم .

وأنتم أيها الاخوة المسلمون المغتربون في أوربا وأمريكا ! تشاركون هذه الأمة العظيمة في هذه الميزات ، وأنتم عضو في هذه الأسرة العظيمة ورثتم كل ما ورثته أسرتكم الإسلامية العالمية ، ليس بالمعنى الذي يفهمه

الجهلاء من عضوية أسرة كريمة فاضلة ، وليس بمفهوم التراث كما يتصوره كثير من الباحثين والمستشرقين فيضعون كتبا في التراث الإسلامي (Legacy of Islam) ولكن بالمعنى الرفيع العميق الذي يفهمه العقلاء من أعضاء أسرة مثلت دورًا ممتازًا في خدمة العلم والدين ، فعليكم أيها الاخوة الفضلاء ! أن تدرسوا الإسلام من جديد ، وفي ضوء هذه الميزات التي عرضناها باختصار ، وأن تفقهوا الإسلام وتجيدوا فهمه وتتعمقوا في دراسته ، وأن تقبلوا على استعراض القرآن والتدبر فيه كأنه كتاب عرفتموه حديثا ، وإن شئتم فقولوا نزل آنفا جديدًا ، وأن تدرسوا السيرة النبوية والحديث النبوي وتكثروا من قرائتها ، وتحاولوا أن تتصلوا بالرسول الأعظم -ﷺ- اتصالا شخصيًا ، اتصالا مؤسسا على الدراسة والتفكير والحب والعاطفة ، والإجلال والتقدير ، والاتباع والتقليد .

ثم عليكم أن تمثلوا هذا « الإسلام » تمثيلا صحيحًا في أوربا وتظهروا بالعقيدة الإسلامية وتحافظوا على فرائض الإسلام وأخلاقه وشعائره في شجاعة وثقة ، لأنكم تمثلون أفضل دين وأصح عقيدة في بيئة تفتقر إليها أشد افتقار ، وبذلك تحسنون إليها وتحسنون إلى كثير من زملائكم واخوانكم المسلمين ، وإلى الذين هم في سنكم في الشرق الإسلامي الذي يخجلون من تمثيل الإسلام والظهور في مظهره في الحواضر الإسلامية والجامعات العربية ، وتسنون لهم سنة حسنة لكم أجرها وأجر من عمل بها ، وبهذه الحياة الإسلامية النزيهة العفيفة التي فيها الصلاح والتقوى ، والصدق والأمانة ، والذكر والعبادة ، والرضا والقناعة ، والنشاط والقوة ، و رقة العاطفة وإشراق الروح ، تستطيعون

أن تجذبوا إلى الإسلام عددًا كبيرًا من أصدقائكم وزملائكم وأساتذتكم وجيرانكم . وهكذا دخل العدد الأكبر من المنصفين والعقلاء في حضانة الإسلام في البلاد التي لم يغزها جيش إسلامي ولم يلمع فيها سيف مجاهد .

قد تكونون أيها الاخوة الأعزة تلاميذ في جامعة . أو عاملين في مصنع . أو مؤظفين في مصلحة . وقد تكونون صغارا في ثقافتكم أو وظيفتكم أو مكانتكم الاجتماعية ،لكنكم كبار في عقيدتكم ودعوتكم . فأساتذتكم في الفنون التي تدرسونها أساتذة وشيوخ . لهم عليكم حقوق وفضل . والإسلام أول من يعرف لصاحب الفضل فضله . ولكنهم في حاجة إلى أن يفهموا الإسلام ويروه ممثلا في شخصكم . وأنتم بذلك في منزلة المرشد والموجه . فاعرفوا قيمتكم . وقدروا مسئوليتكم وأدوا حقوقها وأحسنوا القيام بهما .

وأعود فأقول ان وجودكم في أوربا وأمريكا فرصة غالية يجب أن تنتهزوها ويجب أن تستغلوها لصالح الإسلام ولصالح الإنسانية . و وجودكم في هذه البلاد يقوى إيمانكم وثقتكم بالدين الذي أكرمكم الله به . ويفتح طريقا جديدا لتقدم الإسلام في هذه البلاد وانتشاره في هذه الناحية التي حرمت نعمة الإسلام من زمن بعيد . وتهيأت لها القيادة والسيطرة على العالم فكان في ذلك شقاؤها وشقاء الناس . لأنها كانت من غير منهاج نبوي . ورسالة سماوية عالمية . ومؤهلات خلقية وروحية . ولعل وجودكم وجهادكم يتدار كان هذا الخلل ويملآن هذا الفراغ .

والله ولي التوفيق ...

... .

السيرة النبوية وأهميتها في فهم الإسلام

[الحلقة الثالثة]

بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
المدرس بقسم التفسير والحديث . كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر

المبحث الثالث :

الرسول الكريم -ﷺ- هو المثل الأعلى في حياة المسلم .

إن الدارس لسيرة المصطفى -ﷺ- يجد بين يديه صورة المثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة . كي يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه وما من شك أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى في ناحية من نواحي الحياة . فإنه واجد ذلك في حياة الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - في أنصع صورة . وعلى درجة من الكمال لم يبلغها غير رسول الله الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - (١) في حال السلم والحرب ولذا جعله خالقه قدوة للبشرية كلها على اختلاف أجناسها وألوانها وألسنتها يقول ربنا جل علاه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ (٢) .

يقول شهيد الإسلام الأستاذ سيد قطب وهو يتحدث عن غزوة الأحزاب :

" وقد كان رسول الله -ﷺ- على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد .

---

(١) فقه السيرة . د/البوطي : ص/١٤ - بتصرف .
(٢) سورة الأحزاب . الآية : ٢١ .

مثابة الأمان للمسلمين ، ومصدر الثقة والرجاء والاطمئنان .

وإن دراسة موقفه -ﷺ- في هذا الحادث الضخم لما يرسم لقادة الجماعات والحركات طريقهم ، وفيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخـــر ، و تطلب نفسه القدوة الطيبة ، و يذكر الله و لا ينساه اهـ (١) .

والأسوة بكسر الهمزة وضمها اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به ويعمل مثل عمله ، وحق الأسوة أن يكون المؤتسى به هو القدوة ، ولذلك فحرف (في) جاء على أسلوب ما يسمى بالتجريد المفيد للمبالغة إذ يجرد من الموصوف بصفة موصوف مثله ليكون كذا اتين ، كقول أبي خالد الخارجي :

وفي الرحمن للضعفاء كاف .

أي الرحمن كاف ، فالأصل : رسول الله أسوة ، فقيل : في رسول الله أسوة ، وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول -ﷺ- دون وصف خاص يشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره ، واجتناب ما ينهى عنه .

والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات وفي الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبي -ﷺ- وأنه الأسوة الحسنة لا محالة ، ولكن ليس فيها تفصيل وتحديد لمراتب الائتساء والواجب منه والمستحب (٢) و يقودنا الحديث عن هذه الآية إلى بيان أفعاله -عليه الصلاة والسلام- بإيجاز .

أفعال النبي -ﷺ- :

قسم العلماء أفعال النبي -ﷺ- إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب : ج/٥ ، ص/٢٨٤١ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور : ٢٠/٣٠٢-٣٠٢ .

أولها : أعمال تتصل ببيان الشريعة : كصلاته -ﷺ- وصومه وحجه ومزراعته واقتراضه فإن هذا النوع يكون شرعا متبعا ، فالبيوع التي تولاها النبي -ﷺ- يكون توليه لها دليلا على اباحتها ، وما كان فيه من أعمال دينية يكون تفسيرًا لمجمل القرآن .

وعلى ذلك نقول إن أفعال النبي -ﷺ- تكون بيانا للشريعة ، قسمان : أفعال هي بيان لمجملها ، وأفعال فعلها يدل على اباحتها ، وكلا القسمين يفيد العموم في أحكامه ، فلا يختص بالنبي -ﷺ- .

القسم الثاني : أفعال من النبي -ﷺ- قام الدليل على أنها خاصة به ، ومن ذلك التزوج بأكثر من أربع زوجات (١) .

القسم الثالث : أعمال يعملها بمقتضى الجبلة البشرية أو بمقتضى العادات الجارية في بلاد العرب كلبسه -ﷺ- وأكله وما كان يتناوله من خلاله وطرق تناوله ، وغير ذلك ، فهذه أفعال كان يتولاها بمقتضى البشرية ، والطبيعة الإنسانية وعادات قومه ، ومن الأمور ما اختلف فيه بعض العلماء ، من حيث كون فعل النبي -ﷺ- أو تلبسه به كان من قبيل بيان الشرع أو من قبيل العادات كتربيته لحيته - عليه السلام - بمقدار قبضة اليد ، فذهب كثير من أهل العلم على أنه من السنة المتبعة ، واستدلـــوا على ذلك بقول النبي -ﷺ- : « قصـــوا الشارب و أعفوا اللحي » (٢) فقالوا إن هذا دليل على أن إبقاء اللحية لم يكن عادة بل

---

(١) وكاكتفائه في اثبات الدعوى بشهادة خزيمة وحده لأن النصوص صريحة في أن البيّنه شاهدان ، انظر علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف : ص/٤٤ ، دار القلم الكويت ، ط.٦ ، سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

(٢) ورد هذا الحديث بروايات كثيرة، فرواه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة - وقروا ... - والبخاري في اللباس والنسائي في الزينة (ارخوا) والترمذي في الأدب واللفظ الذي اثبته رواه البخاري في اللباس ، ومسلم في الطهارة .

كان من قبيل حكم شرعي .

والذين قالوا انه من قبيل العادة لا من قبيل البيان الشرعي قرروا أن النهي الذي لا يفيد اللزوم بالإجماع وهو معلل بمنع التشبيه باليهود والأعاجم الذين كانوا يطيلون شواربهم ويحلقون لحاهم وهذا يزكى أنه من قبيل العادة ، وقد اختار هذا القول الشيخ محمد أبو زهرة (١) ، ومن المستغرب بشأن هذا الرأى أنه شائع في أوساط شيوخ ينتسبون إلى العلم ، ومع قولهم هذا - أي أنها من قبيل العادة - يقدم أكثرهم على حلقها ، مع أنه يفترض في أهل العلم أن يتأسوا بالرسول -ﷺ- لا جرم أنهم دعاة والداعية قدوة لمن يدعوهم .

أهمية هذا الرأى هو أنه بموجب اعتبار اللحية ، سنة عادة ، فإنه يجيز حلقها طالما كانت السنن غير واجبة الأداء .

والمرتكز لرأى هؤلآء العلماء هو قاعدة أصولية أيضًا ، ولكن « في الأوامر» فالأوامر التي تصدر عن الله عزوجل ، أو عن رسوله مختلف في مقتضياتها أي : « إن كان الأصل في الأمر أنه للوجوب » .

ولا ينصرف عنه إلى الندب أو غيره إلا بقرينة أو أن الأصل فيه أنه للندب أو غير ذلك مما لا متسع لتفصيله هنا (٢) .

---

(١) انظر أصول الفقه الشيخ محمد أبو زهرة ، ط. دار الفكر العربي : ص/١١٥ .

(٢) اختلف الأصوليون في صيغة « افعل » فذهب فريق منهم إلى أنه حقيقه في الوجوب فقط ، ونسبه الإمام الشوكاني في « إرشاد الفحول » إلى الجمهور وقال : « وصححه ابن الحاجب والبيضاوي ، قال الرازي : وهو الحق ، وذكر الجويني أنه مذهب الشافعي : قيل وهو الذي أملاه الأشعري على أصحابه » اهـ (القصد الرابع - مباحث الأمر- الفصل الثالث : « أقول : وهو مذهب الظاهرية والسلفيين ، وذهب الآمدي في الاحكام إلى أن صيغة الأمر حقيقية في الطلب ، <<<

وقد اصطلح أهل الأصول على جعل التأسي لقباً لاتباع الرسول في أعماله التي لم يطالب بها الأمة على وجه التشريع (١) .

ويشرح العلامة ابن كثير الآية المتقدمة وهي قول الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (٢) .

يقول : هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله -ﷺ- في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي -ﷺ- يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عزوجل ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، قال ولهذا قال للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ أي : هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله -ﷺ- ولهذا قال تعالى : ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ (٣)

والتأسي برسول الله -ﷺ- هو اتباع للقرآن الكريم لأن - عليه الصلاة والسلام - كان يجسد القرآن بسلوكه القولى والعملي ، وخير ما يصف لنا

<<< والقرائن هي التي تصرفه إلى مقتضاه ، وهو خمسة عشر اعتبارا » انظر الاحكام في أصول الاحكام .

الأصل الرابع - النوع الثاني - الباب الأول - القسم الأول - الصنف الأول - البحث الرابع المسألة الثانية كما أن في المسألة تفاصيل تراجع في كتب الأصول مبحث الأوامر والنواهي .

(١) انظر التحرير والتنوير : ٢٠/٢٠٢-٢٠٣ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

(٣) تفسير ابن كثير : ج/٣ ، ص/٤٠٦ ، وانظر زاد المسير في علم التفسير : ج/٦ ، ص/٢٦٨ .

ذلك هو ما روى عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حينما سئلت عن خلق رسول الله -ﷺ- فقالت : « كان خلق رسول الله -ﷺ- القرآن ، ثم قالت : أتقرأون سورة المؤمنين ؟ » .

قلنا : نعم ، فقالت ليزيد بن بابنوس اقرأ ، فقرأ : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ (١) .

و قد اثنى الله تعالى على خلق نبينا الكريم في القرآن بقوله جل شأنه : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (٢) ، قال أهل العلم : المراد بالخلق العظيم ، هو الإسلام والدين ، حكى ذلك الواحدى عن الأكثرين ، وقيل هو القرآن ، روى هذا عن الحسن والعوفي ، وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهى عما نهى الله عنه ، قال الزجاج : إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن ، وقيل هو رفقه بأمته .

وهذه الأقوال يمكن أن تكون جميعًا معنى للآية الكريمة فلا شك أن أخلاق الرسول -ﷺ- كانت تمثل الإسلام والدين الذي جاءت أحكامه في القرآن الكريم فكان -ﷺ- متبعا لأحكام القرآن منفذا لأوامره مجتنبا لنواهيه ، ولا غرو أن تصف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - خلق رسولنا الكريم -ﷺ- بقولها وكان خلقه القرآن (٣) .

ولا عجب أن يكون الرسول -ﷺ- على هذا الخلق العالي فإنه اقتدى بهدى الرسل جميعا - عليهم الصلاة والسلام - كما أمره ربه بقوله : ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٤) .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيات : ١-٥ ، وانظر كتاب أخلاق النبي -ﷺ- للحافظ الأصبهاني : ص/٢٨ .
(٢) سورة القلم : الآية : ٤ .
(٣) انظر فتح القدير للشوكاني : ٥/٢٦٧ ، وانظر : المسند لأحمد : ٦/٥١ ، والمستدرك : ٢/٤٩٩ .
(٤) سورة الأنعام ، الآيات : ٨٢-٩٠ .

فإن الأنبياء قد وصفهم الله تعالى بالهداية و الإحسان و الصلاح والفضل على العالمين ، والهداية إلى الصراط المستقيم وبأنهم أوتوا الكتاب والحكم والنبوة ثم اقتدى بهم رسولنا -ﷺ- في هداهم وأخلاقهم ومناقبهم ومن يتخلق بأخلاق هؤلاء الرسل الكرام جميعًا ، ويهتدى بهداهم في أقواله وأفعاله وأحواله ، لا شك أن يكون على أعظم خلق وأكمل هداية (١) .

ومن كان هذا شأنه كان أسرع الناس في الخيرات وأبعدهم عن المعاصي والموبقات .

ومن كانت هذه أخلاقه كان هو المثل الأعلى في حياة المسلم ، والقدوة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا .

خلاصة القول :

إن رسول الله -ﷺ- لم يكن إنسانًا عاديًا وإنما هو شخصية فذة امتازت بقوى بدنية وعقلية ونفسية وروحية تكاد تكون خارقة للعادة ، وهو بهذه الأخلاق العالية كان المثل الأعلى للمسلم كما كان المثل الأعلى في سلوكه الفردي ، و في قيامه بحق الله تعالى ، و في صلاته بأسرته وأصحابه وسائر أصدقائه ومعاشريه .

وفضلاً عن ذلك فإن الرسول -ﷺ- كان المثل الأعلى في فنائه في الحق وتضحيته من أجله ومواجهته الصعاب التي تعترضه بقوة وبسالة .

وهو المثل الأعلى في حربه وسلمه ، في أحكامه وقضائه ، في قيادته

---

(١) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم : ص/١٩٥ ، بتصرف ، د/محمد أبو النور الحديدي وانظر زاد المسير لابن الجوزي : ج/٨ ، ص/٤٢٨ ، والدر المنثور للسيوطي : ج/٦ ، ص/٤٩٩ .
وتفسير ابن كثير الجزء الرابع في تفسير سورة القلم ، الآية : ٤ .

وسياسته وفي زهده في الدنيا وعزوفه عنها .

فكان العابد المتبتل ، والقاضي العادل ، والسياسي المحنك والهادي الرشيد ، والأب الحاني ، والمعلم البار ، والقائد المظفر ، والصديق الوفي ، والزوج الرقيق ، والنبي الصالح الذي لم يعرف الناس بشرا سبقه في كماله أو لحق به .

وهو بهذا كان القدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة ، والكمال المجسم والنموذج المحتذى .

وإذا أردنا تحديد مكانة رسول الله -ﷺ- فعلينا مراجعة القرآن الكريم ، لمعرفة منزلة الرسول -ﷺ- في ضوء آياته ، البينات وبدراسة آيات القرآن الكريم نجد أن رسول الله -ﷺ- تتمثل وظيفته فيما يأتي :

١- الرسول -ﷺ- هو المبين للكتاب العزيز قال جل شأنه : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (١) .

٢- وضحت آيات القرآن الكريم أن النبي -ﷺ- هو الأسوة : الحسنة : التي يجب على المسلمين اتباعه ، يقول تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا ﴾ (٢) .

٣- وهو -ﷺ- مطاع وجوبا ، قال جل شأنه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (٤) .

٤- الرسول -ﷺ- صاحب سلطة تشريعية (٥) ، قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات

---

(١) سورة النحل ، الآية : ٤٤ . (٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٢٠ . (٤) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .
(٥) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه : ج/١ ، ص/١٢ ، د/محمد مصطفى الأعظمي .

ويحرم عليهم الخبائث ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ (١) .

تضمنت هذه الآيات الأمر بالإيمان بالله ورسوله : كما تضمنت مقتضي هذا الإيمان وهو اتباع النبي -ﷺ- فيما يأمر به وبشرعه .

واتباعه كذلك في سيرته وعمله ، ولا يكفي الإيمان به بالقلب ما لم يتبع الإيمان الاتباع العملي الكامل لرسول الله -ﷺ- فيما يبلغه عن ربه وفيما يشرعه ويسنه (٢) .

ومما هو معلوم أن الله تعالى بعث رسوله -ﷺ- بمكارم الأخلاق كما ورد عنه في الحديث المشهور فقد قال -ﷺ- : « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » (٣) .

٥- إن ما صدر عن رسول الله -ﷺ- من أقوال وأفعال في حال من الحالات الثلاث التي بيناها فهو من سنته ، ولكنه ليس تشريعا ولا قانونا واجبا اتباعه .

وأما ما صدر عنه -ﷺ- من أقوال وأفعال بوصف أنه رسول ومقصود به التشريع العام ، واقتداء المسلمين به فهو حجة على المسلمين وقانون واجب اتباعه (٤).

٦- فالرسول -ﷺ- هو المثل الأعلى في طريقته في الحياة فكل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير مقصود به التشريع واقتداء الناس به لاهتدائهم ، إلا ما صدر عن رسول الله -ﷺ- ودل الدليل الشرعي على أنه خاص به ، وأنه ليس أسوة فيه .

فليس تشريعا عامًا : كما وضحنا ذلك بالأمثلة فيما تقدم هذا ، وبالله التوفيق .

[يتبع]

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات : ١٥٧-١٥٨ .
(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٢/٢٧٢-٢٧٢ ، وتفسير ابن عطية : ٦/١٠٤ .
(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ، ولفظه : « بعثت لأتمم حسن الأخلاق » وقد قال في شرح الزرقاني ان الحديث مروي برجال الصحيح عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رواه أحمد وقاسم بن أصبغ ، والحاكم وغيرهم ، والرواية المشهورة : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .
(٤) انظر علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف : ص/٤٤ - بتصرف ، وأصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة : ص/١١٤-١١٥ - بتصرف .

الدعوة الاسلامية :

التهديد .. بين الصواب والخطأ

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » الرياض

في الحديث الماضي ، تطرقت ضمن الحديث عن القلب ومسئوليته ، إلى رسالة وقعها مرسلها باسم مصري متنصر يقيم في أمريكا ، عن جمعية الصوت الصارخ ، وقد أوضحت صندوق بريد هذه الجمعية ، ليكون من ذوى القدرة والاحتساب ، من يساهم في الرد ، ويدخل في الحوار بأسلوب حسن ، ونقاش هادئ ، لعل الله أن يهدي به قلوبًا غلفًا ، ويفتح له آذانًا صمًا ، وأعينًا عميًا . ليكون في ذلك تظافر في الدعوة ، وتكاثر في الحجة ، وتعاون في قمع الشبهات .

وهذا هو المنهج السليم للدعوة إلى الله ، حسبما سار عليه أنبياء الله ، ومن تبعهم من الدعاة إلى دين الله في كل زمان ومكان ، ومع أي أمة ، وبأي لسان ، حتى تؤدى الرسالة التي أمر الله بها على الوجه الصحيح ، بدون تهديد أو وعيد ، وبدون هيجان أو إثارة ، لأن منهج الإسلام ينبعث من توجيه هذا النص الكريم : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن • إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (سورة النحل ، الآية : ١٢٥) ، إذ بعكس ذلك الأسلوب المقنع الذي يخاطب القلب ، ويتفاعل مع الإحساس ، نجد هذه الرسالة ، التي يحكم عليها من يقرؤها ، بأنها تنبعث من أسلوب العاجز

المقصر في طرح الحوار ، وذلك بما تحمله من تهديد ، وما تطفح به من اختلاق للأكاذيب في سيرة رسول الله -ﷺ- ، حيث يريد بذلك الهجوم تخويفًا وتهديدًا على خصومه - وهذا ما تحويه النقطة الثانية من غاية رسالته - والخصوم هنا هم المسلمون في شخصية نبيهم محمد -ﷺ- ، ضمن شبهات لا تستند إلى أصل ، وأقاويل مفتريات ، لم يكن لها ارتباط من قريب أو بعيد ، بمن وجهت إليه ، لأن ما ذكره كاتب الرسالة ، لا يعدو إرجاعًا لأصداء ما تحمله افتراءات وتجنيات أعداء الإسلام ، قديمًا وحديثًا ، والتي يرددها المستشرقون والمبشرون ، ومن يشايعهم من أعداء الملة المحمدية ، تلك الشبهات التي يكذبها الواقع المرصود علميًا وتاريخيًا ، كما يردها الدليل النقلي ، والمنطق العقلي .

وقبل أن نتناول بما ييسر الله ، ما تحمله رسالة ذلك الكاتب ، المذيلة بمجهول ، لأن لتلك الرسالة نظائر كثيرة ، تترى على ديار المسلمين ، بأساليب ملتوية ، وهي شنشنة نعرفها من أخزم ، كما جاء في المثل العربي ، ويبذل في سبيلها كثير من المال والجهد والوقت .. ومع هذا فإننا نتفاءل بأن تكون النتيجة ، محتومة ، كما وعدنا الله جلت قدرته ، في قوله الكريم ، الذي هو حق لا مراء فيه : ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم • ليصدوا عن سبيل الله • فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ (سورة الأنفال ، الآية : ٣٦) .

نقول : قبل أن ندخل في نقاش يتلاءم مع الحجم المخصص لهذه الكلمة ، يجدر بنا الإدراك بأن الناس على وجه الأرض يعيشون في انتمائين ، لا ثالث لهما ، رغم اختلاف الطرق عند كل ملة ، وتشعب الأحزاب والانتماءات في كل مكان ، وكل يستمر عقيدته وحماسته من مصدر حزبه ،

إلا أن الاتجاه الأساسي لحزبين فقط : حزب كاسب في نتائجه ، مفلح في مسعاه ، سعيد في المسار الذي وجهه إليه حزبه ، وما يسترشد به من دلالات توصل إليه ، فذلك هو حزب الله ، الذي قال الله فيه : ﴿ أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (سورة المجادلة ، الآية : ٢٢) ، فهؤلاء لهم الغلبة والفوز ، مهما وقف في طريقهم الحاقدون ، ومهما تطاول عليهم المفترون ، ولا يضرهم أي تهديد مهما كان مصدره ، لأنه لا تتحرك قلوبهم في خوف إلا من الله ، ولا يرعبهم إلا ما جاء في مصدري التشريع في دين الإسلام ، فذلك هو التهديد الصادق ، والقول اليقينية نتائجه .

وحزب خاسر في جهوده وأعماله ، شقي في مسعاه وضعيف في مستند أقاويله ، ومنبع أفكاره ، فذلك هو حزب الشيطان الذي قال الله فيه : ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ (سورة المجادلة ، الآية : ١٩) ، فهؤلاء يبوؤن بالخسارة والندامة ، وتكون جهودهم وأعمالهم حسرات عليهم ، لأنهم يستمدون أساسيات أعمالهم من شياطين الجن ، التي يزينها لهم شياطين الإنس ، الذين لا يجدون طريقة لفرضها إلا بالتهديد والوعيد ، لعدم قدرتهم على الإقناع - كما عمل كاتب هذه الرسالة - وهذا أسلوب يتنافى مع المنطق السليم ، ويأباه النقاش المقنع .

وهذا يدعونا إلى أن نفرق بين تهديد وتهديد ، إذ من التهديد ما هو سليم في طرحه ، مقنع في نتائجه ، ومنه ما هو أهوج الطرح ، سيئ النتائج ، وبين هذا وذاك فاصل يجعل لكل منهما نتائجه وغاياته ، فما كان من مصدر صادق ، ومنبع مكين ، فإن نتائجه الموعودة ، واقعة لا محالة ، وهو تنبيه وتحذير ، كما نجد ذلك بارزًا في نماذج سياق من

القرآن الكريم ، في الترغيب والتهذيب بعد سياق التحذير والترهيب ، حتى لا يبتعد الفرد عن الطريق السوي الذي رسمه القرآن الكريم في حسن الاستجابة لأمر الحق تبارك وتعالى : عقيدة وجدانية ، وعملاً بدنيًا ، ولفظًا لسانيًا ، فهذا وعد و وعيد نتائجه صادقة و واقعة ، لأنه من كلام رب العزة والجلال ، ومثل هذا ما يحصل من سنة رسول الله -ﷺ- لأنه -عليه الصلاة والسلام- لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، ولذا أمرنا الله باتباع ما يأمر به ، واجتناب ما ينهى عنه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ (سورة الحشر ، الآية : ٧) .

وهناك التهديد الأهوج ، الذي لا يضمن مطلقه النتائج على نفسه ، فضلاً عن إيقاعها على الآخرين ، كتهديد صاحب الرسالة ، ولهذا أشباه ونظائر في حياة الناس الاجتماعية ، إذ هو يهدد من ينشر الكتب ، ومن يبين الآراء التي تكشف أخطاء عقيدته ، وما كذبه أبناء ملة على الله جل وعلا وعلى عيسى عبد الله ورسوله ، وافتراءاتهم على شرع الله الذي شرع لعباده ، ثم يزيد في التهديد بأنه سينشر آراء بني ملته الكاذبة ، وغيرهم من الحاقدين على الإسلام ، وبما يطرحون من شبهات ويختم رسالته بتكرار التهديد بترجمة كتاب سلمان رشدي : « آيات شيطانية » إلى العربية لينشره بين المسلمين في أمريكا وكندا وغيرهما ، والمسلمون طالما سمعوا في كل زمان ومكان مثل هذه التهديدات والأراجيف لكنها لا تغير الإسلام شيئًا ، ولا تنقص من قدره ، سواء نشرت أم ذكرت باللسان .. لأن البقاء للأصلح ، ولا يخامر أحدًا شك ، أو يعتريه مراء ، بأن دين الله الحق ، لم يكن هو الأصلح ، إلا لما فيه من الخير ، لأن رسول الله تعرض

للتهديد من مشركي قريش ، وغيرهم فثبت ، وأظهر الله دينه ، وهلكوا بباطلهم .

ومثل هذا القول لا يزيد المسلمين إلا صلابة في دينهم ، وتمسكًا بتعاليمه : عملاً و وعيًا ، لأنها أسس متينه وقواعد ثابتة جاءت من عند الله ، ويحرص عليها المسلم طمعًا فيما عند الله من أجر .

وفي هذا الموقف أعيد إلى ذهنك أيها الهدد ما قاله القائد الروماني ، وهو يجمع فلوله في أنطاكية ، بعد أن انسحب الرومان من سوريا إلى غير رجعة ،إثر هزائمهم المتكررة ، أمام جيوش المسلمين في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد قال حسبما رصدته كتب التاريخ في كلمة أمام من بقي من جيوشه : سلام عليك يا سوريا ، سلام لا رجعة بعده أبدًا ، ثم بعد أن تأسف على انحسار ظلهم من ديار العرب ، سأل مَن معه من القادة والفرسان : ما لنا نتراجع ، وعددنا كثير ، وعدتنا قوية ، أمام هؤلاء الأعراب ، وهم أقل منا عددًا ، وأضعف منا عدة ، وأقل خبرة بفنون الحرب ، فسكت الجميع ، ولم يجبه منهم أحد ، فقال : مالكم لا تجيبون ، فقام إليه شيخ منهم فقال : أتأذن لي أيها القائد ؟ قال : نعم قل ما عندك ، فقال : لأنهم يحبون الموت ، ونحن نحب الحياة ، ولأنهم يتوقون لما بعد الموت ، الموعودين به في دينهم ، ونحن نطمع في نعيم الحياة ، وما نتلذذ به المكاسب ، ولن يكون لنا غلبة عليهم ما داموا على هذه العقيدة .

فقال له القائد : لقد صدقتني ، فهل نطمع بأن نتغلب عليهم في يوم من الأيام ؟ قال : نعم ، ففرح القائد ، وقال : متى ؟ قال : عند ما يركنون إلى الدنيا ، ويهملون دينهم ، ثم يرغبون فيما نرغب فيه ، عند ذلك يرفع الله

يده عنهم ، فنغلبهم بقوتنا .

وتهديد هذا الكاتب لابد أن يكون له آثار طيبة لدى المسلمين ، لأن النظرية العلمية تقول : كل فعل له رد فعل .. و ردّ الفعل هنا تحرك الحماسة عند المسلمين ، وتوقد الغيرة في نفوسهم ، حمية لله وأثرة لدينه أن يمتهن ، وحفاظًا عليه أن يعتدى عليه .. لأن من رسخ الولاء في قلبه لأمر يغار عليه ، والمسلمون يغارون على دينهم ، ويحمون عرض بنيهم احتسابًا لما عند الله ، لكنهم لا يهاجمون الآخرين بغير الحق ، ولا يفترون عليهم ما ليس له أساس في المعتقد .. لأن دينهم علمهم الأدب في الدعوة ، والأدب في الدين ، والأدب في التعامل والصدق في القول كما قال الله سبحانه : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله • فيسبوا الله عدوًا بغير علم ﴾ (سورة الأنعام ، الآية : ١٠٨) ، ويدركون دلالة ما تعنيه الآية الكريمة في كبت ألم النفوس كما قال سبحانه : ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون • وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ (سورة النساء ، الآية : ١٠٤) .

ذلك أن المسلم لا يتعالى في دعوته ، ولا يتكبر في انتمائه ، ولا يريد الضرر لمن ليس على ملة الإسلام ، بل يدعو لهم بالهداية ، وبإثارة الطريق ، حتى يعرفوا الحق بعلاماته ، ويتبصروا في عواقب الأمور ، ولا يبادلون التهويش بالكذب ، ولا التهديد بالافتراء ، لأنهم يعرفون من حتمية المثل العربي : لا يضر السحاب نبح الكلاب .. إن شرع الله طود شامخ لا يؤثر فيه حقد الحاقدين ، ولا ينقص من مكانته أكاذيب المفترين ، وما ذلك إلا أن أعداء الإسلام يهاجمونه منذ بدء البعثة ، بل إن القرآن الكريم قد أثبت نماذج من هجوم المعاندين لأنبياء الله ، ومن تطاول

المشركين ، وتهديداتهم لحمد -ﷺ- ، وكان الثبات والصبر ، والحكمة ومقارعة الحجة بالحجة ، والجدال بالتي هي أحسن ، أمكن سلاح في هذا الميدان ، يعطى ثمارًا ، ويفتح آفاقًا ، ويثبت أقدامًا ، وهي دعوة نوجهها لحملة العلم والأقلام في حوار غير المسلمين ، وبيان مكانة الإسلام في كل أمر .

وما وقف داعية على درب الدروب المرشدة إلى دين الله ، قديمًا وحديثًا وحتى اليوم ، إلا وقد هوجم وأوذى ، لكن كما قال سبحانه : ﴿ فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ (سورة هود ، الآية :٤٩) ، فقد انتصر دعاة هذا الدين ، وظهرت حجته ، وانخذل خصومه .. وما ذلك إلا أن دين الله يبقى شامخًا ، أما شبهات وأقاويل خصومه ، فإنها أصبحت دروسًا يستفيد منها المسلم في ثبات العقيدة ، ومعرفة مداخل الشر حتى يتجنبها ، ومواطن الخطر حتى يتدارى الوقوع فيها ، كما روى عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أنه قال : كان الناس يتعلمون الخير ، وكنت أتعلم الشر مخافة الوقوع فيه ، وشاهد ذلك من كتاب الله جل وعلا : ﴿ إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرًا لكم • بل هو خير لكم • لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ﴾ (سورة النور، الآية : ١١) ، ولذا لم اتعرض لنماذج من الافتراءات التي أورد ونسبها لرسول الله -ﷺ- في حياته الخاصة ، لأنها أقاويل مكررة امتلأت الساحة بالردود عليها وتكرارها ، لأن ذلك يرفع من شأنها ، وسيرة رسول الله أرفع من الركون لمثل هذه الأمور ، بل لا غرابة فقد كذبوا على أنبياء الله جميعًا أكاذيب مماثلة .

كفى بالأجل حارساً : روى أن فاطمة بنت أحمد بن على ، زوجة ناصر الدولة ، اتهمت عاملاً كان لها ، يقال له ابن أبي قبيصة من أهل الموصل

بخيانة في مالها ، فقبضت عليه ، وحبسته في قلعتها ، ثم رأت أن تقتله ، فكتبت إلى الوكيل بالقلعة بقتله ، فورد عليه الكتاب ، وكان لا يحسن أن يقرأ ، ولا أن يكتب ، وليس عنده من يقرأ أو يكتب ، إلا ابن أبي قبيصة ، فدفع الكتاب إليه ، وقال له : اقرأ علي ، فلما رأى ابن أبي قبيصة في الكتاب الأمر بقتله ، قرأ الكتاب بأسره إلا حديث القتل ، و رد الكتاب عليه .

قال ابن أبي قبيصة : ففكرت في الأمر ، وقلت أنا مقتول ، ولا آمن أن يرد كتاب آخر في هذا المعنى ، ويتفق حضور من يقرأ ويكتب غيري ، فينفذ فيّ الأمر ، وسبيلي أن أحتال بحيلة ، فإن تمّت سلمت ، وإن لم تتم ، فليس يلحقني أكثر من القتل ، الذي أنا حاصل فيه ، قال : فتأملت القلعة ، فإذا فيها موضع يمكنني أن أطرح نفسي منه إلى أسفلها ، إلا أن بينه وبين الأرض ، أكثر من ثلاثة آلاف ذراع ، وفيه صخر لا يجوز أن يسلم منه من يقع عليه .

قال : فلم أجسر ، ثم ولد لي الفكر أن تأملت الثلج قد سقط عدة ليال ، وقد غطى تلك الصخور ، وصار فوقها منه أمر عظيم ، يجوز إن سقطت ، وكان في أجلى تأخير ، أن تنكسر يدى أو رجلي فأسلم ، قال : وكنت مقيدًا ، فقمت لما نام الناس ، وطرحت نفسي من الموضع ، قائمًا على رجلي ، فحين حصلت في الهواء ، ندمت وأقبلت أستغفر الله وأتشهد ، وأغمضت عينيّ حتى لا أرى كيف أموت ، وجمعت رجلي بعض الجمع ، لأنى كنت سمعت قديمًا أن من اتفق له أن يسقط قائمًا من مكان عال ، إذا جمع رجليه ، ثم أرسلها إذا بقي بينه وبين الأرض ذراع أو أكثر قليلاً ، فإنه يسلم ، وتنكسر حدة السقطة ، ويصير كأنه بمنزلة من سقط من ذراعين .

قال : ففعلت ذلك ، فلما سقطت إلى الأرض ، ذهب عني أمري ، وزال

عقلي ، ثم ثاب إلى عقلي ، فلم أجد ما كان ينبغي أن يلحقني من ألم السقطة من ذلك المكان ، فأقبلت أجس أعضائي شيئًا فشيئًا ، فأجدها سليمة ، وقمت وقعدت ، وحركت رجلي ويدي ، فوجدت ذلك سليمًا كله ، فحمدت الله تعالى على هذه الحال ، وأخذت صخرة ، وكان الحديد الذي في رجلي قد صار كالزجاج لشدة البرد .

قال : فضربته ضربًا شديدًا فانكسر ، وطنّ الجبل ظننت أن سيسمعه من في القلعة لعظمه ، فيتنبهون على صوته ، فسلم الله عزوجل من هذا أيضًا ، وقطعت تكتي ، فشددت ببعضها القيد على رجلي ، وقمت أمشي في الثلج . فمشيت طويلاً ، ثم خفت أن يرى أثري من غد في الثلج على جادة الطريق ، فيطلبوني ويتبعوني فلا أفوتهم ، فعدلت عن وسطه إلى نهر يقال له : الخابور ، فلما صرت على شاطئه ، نزلت في الماء إلى ركبتي ، وأقبلت أمشي كذلك فرسخًا ، حتى انقطع أثري ، وخفي مكان رجلي ، ثم خرجت لما كادت أطرافي تسقط من البرد ، فمشيت على شاطئه ، ثم عدت أمشي فيه ، وربما حصلت في موضع لا أقدر على المشي فيه ، لأنه يكون جرفًا فاسبح .

فأمشي على ذلك أربع فراسخ حتى حصلت في خيم فيها قوم ، فأنكروني وهموا بي ، فإذا هم أكراد ، فقصصت عليهم قصتي ، واستجرت بهم ، فرحموني وغطوني ، وأوقدوا بين يدي نارًا ، واطعموني وستروني ، وانتهى الطلب من غد إليهم ، فما أعطوا خبري أحدًا .

فلما انقطع الطلب سيروني ، فدخلت الموصل مستترًا .

وكان ناصر الدولة ببغداد - إذ ذاك - فانحدرت إليه ، فأخبرته بخبري كله ، فعصمتي من زوجته ، وأحسن إلي وصرفني [الفرج بعد الشدة : ٢/١٠٨-١١١] .

.. ..

أدب الرسول ﷺ

بقلم : الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

إذا أردنا أن نتكلم عن أدب الرسول -ﷺ- فلابد لنا أولا أن نرجع إلى عصره الذي نشأ وترعرع فيه ، ذلك لأن كل أديب هو نتيجة لثقافته وموهبته وبيئته وعصره ، و لاختلاف هذه المؤثرات الأربعة تختلف درجات الأدب وتختلف أحيانًا ضروبه وأنواعه .

ولا يهمنا هنا إلا عصر النبي -ﷺ- الذي بلغ فيه العرب مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان ، وصور القرآن الكريم ذلك في غير موضع منه ، من مثل : ﴿ الرحمن • علّم القرآن • خلق الإنسان • علّمه البيان ﴾ (سورة الرحمن ، الآية : ١-٤) ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٠٤) كما صور شدة عارضتهم وقوتهم في الحجاج والجدل بمثل : ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية : ١٩) ، ﴿ ما ضربوه إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ (سورة الزخرف ، الآية : ٥٨) ، « ومن أكبر الدلالة على ما حذقوه من حسن البيان أن كانت معجزة (١)

---

(١) إن المعجزة لابد أن تتلاءم مع المستوى الاجتماعي الذي يبعث فيه الرسول ، ولهذا فقد كانت معجزة الرسالة الإسلامية متلائمة مع المستوى الاجتماعي الذي بعث فيه رسولنا محمد بن عبد الله - صلوات الله وسلامه عليه - فقد كان المجتمع العربي قد نضج في لغته حتى بلغ الكمال ، ولهذا كانت المعجزة من جنس ما وصل ذلك المجتمع من الرقى اللغوي فنزل القرآن الكريم بلغة عربية <<<

الرسول الكريم وحجته القاطعة لهم أن دعا أقصاهم وأدناهم إلى معارضة القرآن الكريم في بلاغته الباهرة ، وهي دعوة تدل في وضوح على ما أوتوه من اللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام ، كما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين ما يجري فيها من جودة الأفهام وبلاغة التعبير» (١) .

ويروى أن الوليد بن المغيرة أحد خصوم الرسول الألداء استمع إليه وهو يتلو بعض آي القرآن ، فقال : والله لقد سمعت من محمد كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوةً ، وإن عليه لطلاوةً ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق (٢) .

كلام الوليد إن دل على شئ فإنما يدل دلالة واضحة على انهم كانوا يعربون عن إعجابهم ببلاغة القول في تصاوير بيانية ، ويعرض علينا الجاحظ في كتابه البيان والتبيين : « كيف كانوا يصفون في شعرهم وخطابتهم ببرود العصب الموشاة بالحلل و الديباج و الوشى و أشباه ذلك » (٣) .

وكذلك كانوا يلقبون شعراءهم بألقاب تنم عن سليقتهم البيانية وتدل

<<< بأساليب أرفع من أساليبهم فأعجزهم بفصاحته وبلاغته ، فعرفوا من ذلك أنه ليس من كلام البشر ، وقد كان أحدهم يسمع الآية أو السورة فيخر لها ساجدًا فإذا سئل عن سبب سجوده ، قال سجدت لفصاحته وبلاغته وأشهد أن لا يقول هذا مخلوق (كما ذكره القاضي عياض في الشفاء وغيره) .

(١) البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف : ص/٩ .

(٢) انظر التفصيل في سيرة بن هشام : ٢٤٢/١ ، وانظر تفسير الزمخشري في سورة المدثر أو التصوير الفني في القرآن لسيد قطب : ص/١٢ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ : ٢٢٢/١ .

على فطرتهم السليمة ، مثل : المهلهل ، المحبر ، النابغة ، كعب الأمثال ، طفيل الخيل ، كما كانوا يطلقون على قصائد بأعيانها من أسماء تدل دلالة واضحة على عبقريتهم في الأخذ بناصية البيان والافتنان في أساليب القول و وجوه الفصاحة ، ومن ذلك ما رووه أن علقمة الفحل قدم على قريش ذات مرة فأنشدهم ميميته :

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم

أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فشبهوها لحسنها وتجويدها بالسمط ، أي القلادة التي تتزين بها المرأة ، وقالوا هذه سمط الدهر ، وقيل إنه وفد عليهم في العام التالي ، فأنشدهم بائيته :

طحا بك قلب في الحسان طروب

بعيد الشباب عصر حان مشيب

فألحقوها بسابقتها وقالوا ، هاتان سمطا الدهر (١) ومن هذا اللون أيضًا أنهم لقبوا قصيدة سويد بن أبي الكاهل اليشكري التي مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا

فوصلنا الحبل منها ما اتسع

باليتيمة ، كما أسموا إحدى خطب سحبان بن وائل بالشوهاء لما فيها من إحسان وجمال فني (٢) .

وفي تلقيبهم للشعراء وحكمهم على القصائد ما يظهر لنا على أنهم

---

(١) الأغاني لأصفهاني : ١٢/٢١ ، بأدنى تغيير وتفصيل .

(٢) تاريخ النقد العربي عند العرب لأستاذ طه أحمد إبراهيم : ص/١٤-١٥ ، بأدنى تفصيل .

كانوا يتمتعون بمنزلة عالية ومكانة مرموقة في حسن البيان واللسن ، ونظم ضروب الكلام ، مع علمهم له ، وانفرادهم به ، وكما يظهر لنا على أنهم قد وصلوا إلى أرقى تطوراتِ نضجهم اللغوي و استحكامهم فيها « هذا وكثيرًا ما وصفوا خطباءهم بأنهم مصاقع لسن ، كما وصفوهم باللوذعية والرمى بالكلام العضب القاطع ، وفي أمثالهم جرح اللسان كجرح اليد ، ويروى أن الرسول الكريم استمع إلى بعض خطبائهم ، فقال : إن من البيان لسحرا » (١) .

ونفس أدبهم الذي خلفوه يحمل في طياته ما يصور فصاحة منطقهم ، وكما تحمل أسواق العرب (٢) وبخاصة سوق عكاظ - في طياتها ما يدل على نضجهم وكمالهم ، وكيف كانوا يتأتون للكلام حتى بلغوا منه كل ما كانوا يريدون من استمالة القلوب والأسماع ، وأحس بذلك الجاحظ من قديم فقال : « لم نرهم يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور وبيتوا (ذللوا) الكلام في صدورهم وقيدوه على أنفسهم ، فإذا قومه الثقاف وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محكما منقحا ومصفى من الأدناس مهذبًا » (٣) . « فبلغاؤهم من الخطباء و الشعراء لم يكونوا يقبلون كل ما يرد على خواطرهم بل ما يزالون ينقحون

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ : ص/١٠ .

(٢) ومعلوم أن هذه الأسواق غدت في أخريات العصر الجاهلي بمثابة منتديات أدبية مفتوحة إلى جانب قيامها بوظيفتها التجارية المعروفة ، فإن النابغة الذبياني كانت تضرب له فيها قبة حمراء من جلد فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، انظر التفصيل في تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص/١١-١٢ ، والحياة الأدبية : ص/٢٦-٢٢ . (٣) البيان والتبيين : ج/٢ ، ص/١٤ .

ويجودون حتى يظفروا بأعمال جيدة ، وهي أعمال يجيلون فيها الفكرة ويعاودون النظر ، متكلفين جهودًا شاقة في التماس المعنى المصيب تارة والتماس اللفظ المتخير تارة ثانية ، يقودهم في ذلك بصر محكم ، يميزون به المعاني والألفاظ بعضها من بعض ، بحيث يصونون كلامهم عما يفسده أو يهجنه » (١) ، وقد وقف الجاحظ في كتابه البيان مرارًا ينوه بما كانوا يرسلونهم في خطابتهم وكلامهم من أسجاع محكمة الرصف ، وكرر القول في أن من شعرائهم (٢) .

« من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كاملاً وزمنًا طويلاً ، يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله ، وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره - وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ، ليصير قائلها فحلاً خنديذًا وشاعرًا مفلقًا » (٣) .

فنخلص من هذا الاستعراض السريع إلى أن أوضح ظاهرة في حياة الأمة العربية قبل البعثة النبوية وأقوى قوة عاملة فيها هي الكلمة ، فالكلمة في حياتهم هي تاريخ أمة بأسرها ، هي عقلها المفكر ، وهي قلبها النابض ، وهي مشاعرها المتدفقة وهي خيالها المنطلق : وهي كل شئ عندها : تمسك بوجودها كله ، وتستولى على كل خالجة منها ، وإن كنت تشك فيما أقوله

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف : ص/١٠ .

(٢) مثل النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى اللذان كانا يدعان القصيدة حولا كاملا ويجيلان الفكرة فيها ويعاودان النظرة فيها ، انظر التفصيل في كتب تاريخ الأدب العربي .

(٣) البيان والتبيين : ج/٢ ، ص/٩ .

فانظر فيما جاء أن بعض المشركين كان يتسلل في ظلام الليل (١) إلى جانب بيت رسول الله -ﷺ- ليستمع القرآن لِمَا يجده في نفسه من تذوق لألفاظ القرآن وأساليبه ، واقرأ قصة إيمان عمر - رضي الله عنه - في كتاب الداعية الكبير سيد قطب - رحمه الله - التصوير الفني في القرآن

- ستجد طلبتك المنشودة وستقتنع بما نقوله لك .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن عصره -ﷺ- كان عصر بلاغة وفصاحة وحسن بيان ولسن ، ولهذا كان من أكبر العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته الأدبية الفذة ، كما كانت هناك عوامل أخر كثيرة سنذكرها بالتفصيل في الفصل الذي يليه .

... .

(١) يروى أن أبا سفيان والأخنس بن شريق وأبا جهل حيث كان الثلاثة يجلسون إلى جانب بيت رسول الله -ﷺ- من العشاء إلى الصبح يستمعون إلى قراءته فينصرفون عند الفجر فيلتقون على مفرق الطرق فيعاتب كل منهم صاحبه ويتفقون على عدم العودة لئلا يفتتن بهم غيرهم ثم يعودون ليلة ثانية ويحدث منهم ما حدث في الليلة الأولى ثم يعودون ثالثة فتجمع بهم الطرق كذلك فيتعاهدون على عدم العودة وفي الضحى يذهب الأخنس إلى أبي سفيان فيسأله عما سمع فيقول : سمعت كلاما أعرف بعضه وأنكر بعضه قال الأخنس : وأنا كذلك فيذهب الأخنس إلى أبي جهل فيسأله عما سمع فيقول أبو جهل وماذا سمعت ؟ لقد كنا نحن وبنى عبد مناف كفرسى رهان أطعموا فأطعمنا وسقوا فسقينا حتى إذا تحاكت الركب قالوا : منا نبي والله لا أسلم : انظر التفصيل في سيرة بن هشام : ١/٢٧٥-٢٧٦ .

الإمام النسائي وصناعته الحديثية في سننه

[الحلقة السادسة]

سعادة الدكتور تقي الدين الندوي
أستاذ الحديث في جامعة الإمارات العربية

المبحث الرابع :

٤- **حديث** بسرة بنت صفوان أخرجه النسائي بطريق هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن بسرة بنت صفوان أن النبي -ﷺ- قال : من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ ، قال أبو عبد الرحمن هشام بن عروة لم يسمع من أبيه هذا الحديث ، والله سبحانه وتعالى أعلم (١) .

وأخرجه بطريق هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن بسرة بنت صفوان ، إلخ .

بما قال النسائي جزم به الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢) حيث قال فإن قالوا فقد روى هذا الحديث أيضًا هشام بن عروة عن أبيه . وهشام فليس مما يتكلم في روايته بشئ ، ثم ذكروا في ذلك ما حدثنا ابن أبي عمران بسنده عن هشام بن عروة الحديث ، قيل له إن هشام بن عروة أيضًا لم يسمع هذا من أبيه ، وإنما أخذه من أبي بكر أيضًا فدلس به عن أبيه ثم ذكر الطحاوي بطريق همام عن هشام وفيه واسطة أبي بكر بن حزم بين هشام وعروة ، ثم قال الطحاوي : فرجع الحديث إلى أبي بكر ، مختصرًا .

(١) سنن النسائي : ١/٢١٦ .
(٢) سنن النسائي : ١/٥٧ .

وأما الحافظ ابن حجر فالراجح عنده السماع ، والحديث عنده ثابت من وجهتين بالواسطة وبلا واسطة ، وتكلم عليه حيث قال : هذه الرواية لا تدل على ان هشاما لم يسمع من أبيه ، بل فيها أنه أدخل بينه وبينه واسطة ، والدليل على أنه سمعه من أبيه أيضًا رواه الطبراني ، حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي ثنا يحيى بن سعيد قال : قال شعبة : لم يسمع هشام حديث أبيه في مس الذكر ، قال يحيى فسألت هشاما فقال : أخبرني أبي رواه الحاكم من طريق عمرو بن علي عن يحيى عن هشام حدثني أبي ، وكذا هو في مسند أحمد ثنا يحيى بن سعيد عن هشام حدثني أبي ، وكذا هو عند النسائي فذكر حديث النسائي هذا ثم ذكر قال النسائي : هشام بن عروة لم يسمع من أبيه هذا الحديث (١) لكن الإمام النسائي لم يلتفت إلى تصريح سماع هشام عن أبيه في حديث يحيى وحكم على الحديث بالانقطاع فالظاهر أنه لم يحكم على هذا الحديث بالانقطاع إلا وقد ثبت دليل قوي على ذلك (٢) .

٥- حديث علي - رضي الله عنه - في المذى ، أخرجه النسائي بطريقين : بطريق مخرمة بن بكير عن أبيه عن سليمان بن يسار عن ابن عباس قال : قال علي - رضي الله عنه - : أرسلت المقدار إلى رسول الله -ﷺ- يسأله عن المذى ، إلخ .

قال أبو عبد الرحمن : مخرمة لم يسمع من أبيه شيئًا (٣) .

ثم أخرج المصنف هذا الحديث بطريق الليث بن سعد عن بكير بن

(١) التلخيص الحبير : ١/١٢٢ .
(٢) انظر أماني الاحبار : ١/٢٤٩ . طبع الهند .
(٣) سنن النسائي : ٨/٢١٤ .

الأشج عن سليمان بن يسار وقال : أرسل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - المقداد إلى رسول الله -ﷺ- ، إلخ .

ففي الرواية الأولى وهي رواية مخرمة عن بكير واسطة ابن عباس بين سليمان وعلي ، والرواية الثانية : وهي رواية الليث عن بكير خالية عن تلك الواسطة ، وقد أخرج مسلم هذا الحديث بطرق وبطريق مخرمة عن أبيه أيضًا (١) .

قال الإمام النووي : هذا الإسناد مما استدركه الدارقطني ، قال قال حماد بن خالد سألت مخرمة هل سمعت من أبيك ؟ فقال : لا ، وقد خالفه الليث عن بكير ، فلم يذكر فيه ابن عباس ، وقال النسائي أيضًا في سننه : مخرمة لم يسمع من أبيه شيئًا ، وروى النسائي هذا الحديث من طرق وبعضها من طريق مسلم هذه المذكورة ، وقد اختلف العلماء في سماع مخرمة (٢) من أبيه فقال مالك : قلت لمخرمة ما حدثت به عن أبيك سمعته منه ؟ فحلف بالله لقد سمعته ، وكذا قال معن بن عيسى : إن مخرمة سمع من أبيه ، وذهب جماعات إلى أنه لم يسمعه ، قال أحمد : لم يسمع من أبيه شيئًا ، إنما يروى من كتاب أبيه وكذا قال يحيى بن معين : (٣) .

٦- وكذلك إذا كان في السند تحريف يبينه :

ومن هذا قال أخبرنا محمد بن منصور عن سفيان عن بيان بن بشر عن موسى بن طلحة عن ابن الحوتكية عن أبي ذر أن النبي -ﷺ- قال لرجل عليك بصيام ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ، قال أبو عبد

(١) انظر صحيح مسلم : ١/٢٤٧ .
(٢) انظر تهذيب التهذيب : ١٠/٧٠ .
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم : ٢/٢١٤ .

الرحمن : هذا خطأ ليس من بيان ولعل سفيان قال حدثنا اثنان فسقط الألف فصار بيان ، ثم ساق إسناد هذا الحديث لبيان هذا التصحيف وقال : أخبرنا محمد بن المثنى قال حدثنا سفيان قال حدثنا رجلان محمد وحكيم عن موسى بن طلحة عن أبي الحويكة عن أبي ذر أن النبي -ﷺ- أمر رجلا بصيام ، إلخ (١) .

ب - التنبيه على علل المتن :

ينبه الإمام النسائي على علل المتن كما ينبه على علل الإسناد .

ونوردها بعد ذلك .

١- أخرج النسائي في باب كيف صلاة القاعد ، حديث عائشة - رضي الله عنها - بطريق أبي داؤد الحفري عن حفص عن حميد عن عبد الله بن شقيق عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : رأيت النبي -ﷺ- يصلي متربعا ، قال أبو عبد الرحمن : لا أعلم أحدا روى هذا الحديث غير أبي داؤد وهو ثقة ، ولا أحسب هذا الحديث إلا خطأ ، والله أعلم (٢) .

وقد انتقد عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني وقال : رواه ابن خزيمة والبيهقي من طريق محمد بن سعيد ابن الأصبهاني بمتابعة أبي داؤد فظهر أنه لا خطأ (٣) .

ولكن أيد شيخنا العلامة محمد زكريا موقف النسائي في هذا الحديث وقال : إن الثقات كلهم رووا هذا الحديث ولم يذكروا فيه التربع فصار غريبا ، وما يقال انه لا يخالف الروايات فكيف تخطئته ، ففيه أن ظاهر

---

(١) سنن النسائي : ٢٢٣/٤ ، والحديث أخرجه الترمذي : ١٢٤/٢ ، عن موسى إبن طلحة عن أبي ذر والبيهقي في السنن الكبرى : ٢٤/٤ .
(٢) سنن النسائي : ٢٢٤/٢ .
(٣) التلخيص الحبير : ٢٢٦/١ ، وانظر صحيح ابن خزيمة : ٢٢٦/١ .

الروايات بأسرها تدل على جلوس النبي -ﷺ- في صلاته كهيئة القعدة ، وهذه الرواية تخصصها بالتربع ولو بمرة أو مرتين فصار خطأ (١) .

إليه ذهب محمد بن نصر في كتابه قيام الليل (٢) حيث ذكر : قال أبو عبد الله لم يأت في شئ من الأخبار التي رويناها عن النبي -ﷺ- أنه صلى جالسًا صفة جلوسه كيف كانت إلا في هذا الحديث ، أخطأ فيه حفص وحديث الصلاة جالسا رواه عن حميد عن عبد الله بن شقيق غير واحد كما رواه الناس عن عبد الله بن شقيق ولا ذكر للتربع فيه .

٢- حديث إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ، إلخ ، أخرج النسائي من طريق علي بن مسهر عن الأعمش عن أبي رزين وأبي صالح عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله -ﷺ- : إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرات ، قال أبو عبد الرحمن : لا أعلم أحدا تابع علي بن مسهر على قوله فليرقه (٣) .

قال ابن عبد البر : لم يذكره الحافظ من أصحاب الأعمش ، وقال ابن مندة لا يعرف عن النبي -ﷺ- بوجه من الوجوه إلا عن علي بن مسهر بهذا الإسناد ، وقال الحافظ ابن حجر : قد ورد الأمر بالإراقة أيضًا من طريق عطاء عن أبي هريرة مرفوعا أخرجه ابن عدى لكن في رفعه نظر ، والصحيح أنه موقوف وكذا ذكر الإراقة حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة موقوفا وإسناده صحيح ، أخرجه الدار قطني وغيره (٤) .

---

(١) افادات العلامة محمد زكريا الكاندهلوي على سنن النسائي : ص/٦٠ ، ط. الهند .
(٢) قيام الليل : ص/١٨٤ ، ط. باكستان . (٣) سنن النسائي : ٥٢/١ .
(٤) حاشية السندي : ٥٤١/١ ، وانظر التلخيص الحبير : ٢٢/١ .

قلت : ولفظ رواية البخاري إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا (١) . قال الحافظ : وزاد مسلم والنسائي من طريق علي بن مسهر عن الأعمش في هذا الحديث فليرقه ، و هو يقوى الأول بأن الغسل للتنجيس إذ المراق أعم من أن يكون ماء أو طعاما فلو كان طاهرا لم يؤمر بإراقته للنهي عن إضاعة المال ، لكن قال النسائي : لا أعلم أحدا ، إلخ . وقال حمزة الكناني : إنها غير محفوظة (٢) .

وظهر مما تقدم أن بعضهم مال إلى أنه من قبيل زيادة الثقة فهي معتبرة ، ومال بعضهم إلى أنه شاذ غريب ، وعلي بن مسهر وإن كان ثقة بالاتفاق وأيضًا من رواة الكتب الستة إلا أن له غرائب وذلك ما أضر (٣) .

٢- حديث فاطمة بنت أبي حبيش أخرجه النسائي من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن فاطمة أنها كانت تستحاض ، فقال لها رسول الله -ﷺ- : إذا كان دم الحيض دما أسود يعرف فإذا كان ذلك فأمسكى عن الصلاة ، وإذا كان الآخر فتوضئ وصلي ، قال أبو عبد الرحمن : قد روى هذا الحديث غير واحد ، لم يذكر أحد منهم ما ذكره ابن أبي عدى .

ثم أخرج هذا الحديث من طريق حماد بن زيد ، وقال النسائي : لا أعلم أحدا ذكر في هذا الحديث « وتوضئ » غير حماد بن زيد ، وقد روى غير واحد عن هشام ولم يذكر فيه « وتوضئ » فقد أشار النسائي إلى اعلال « فتوضئ » (٤) .

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري : ١/٢٤ .
(٢) فتح الباري : ١/٢٧٥ .
(٣) انظر تقريب التهذيب : ١/٤٥ ، وله ترجمة في تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٩٠ ، وتهذيب التهذيب : ٧/٨٢ .
(٤) سنن النسائي : ١/١٢٢ .

قلت : لكن حماد بن سلمة والإمام أبا حنيفة رويا هذه الزيادة عن هشام (١) .

فقول المصنف : لا أعلم أحدا .. إلخ ، إنما هو بحسب علمه ، ورد الحافظ ابن حجر على من يقول إنه مدرج ومن جزم بأنه موقوف على عروة ، وأما ما أدعى النسائي أن حمادا تفرد بهذه الزيادة أومأ مسلم أيضًا إلى ذلك ، وليس كذلك فقد رواها الدارمي من طريق حماد بن سلمة والسراج من طريق يحيى بن سليم كلاهما عن هشام وفيه فتتوضأ لكل صلاة فهي مؤداة أو مقتضية لظاهر قوله ثم توضئ لكل صلاة (٢) .

٤- أخرج النسائي من طريق يوسف بن صهيب ، قال حدثني عبد الله بن بريدة : أن امرأة خذفت امرأة فأسقطت المخذوفة فرفع ذلك إلى النبي -ﷺ- فجعل عقل ولدها خمسمائة من الغر ونهى يومئذ عن الخذف ، قال أبو عبد الرحمن : هذا وهم ينبغي أن يكون أراد مائة من الغر (٣) .

هذا الحديث أخرجه أبو داؤد في سننه ففيه فجعل في ولدها خمسمائة شاة ، ونهى عن الخذف ، قال أبو داؤد : كذا الحديث خمسمائة شاة والصواب مائة شاة (٤) وفي نسخة ، قال أبو داؤد : قال عباس : وهو وهم .

قال شيخنا : في بذل المجهود ، قلت لعله في الحديث خمس مائة درهم فوقع في موضع درهم شاة (٥) .

---

(١) شرح معاني الآثار : ١/٦٢ .
(٢) انظر فتح الباري : ١/٤١٠ .
(٣) سنن النسائي : ٨/٤٧ .
(٤) سنن أبي داؤد :
(٥) بذل المجهود : ٨/٩٨ .

٥- أخرج النسائي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال كان النبي -ﷺ- : يصلي ركعتي الفجر ، إذا سمع الآذان ويخففهما . قال أبو عبد الرحمن : هذا حديث منكر (١) .

لم يتكلم السيوطي ولا السندي على وجه النكارة وبينه شيخنا العلامة محمد زكريا الكاندهلوي ، وقال : لأنه لم يروه عن ابن عباس أحد ، إنما هو عن حفصة أو عائشة .

قال : فتفرد ابن عباس برواية هذا السياق وإلا فروايات ابن عباس مذكورة بسياق آخر في ركعتي الفجر في كتب السنة (٢) .

قال الحافظ ابن حجر : تقدم في أول أبواب الوتر في حديث ابن عباس ، إن اضطجاعه -ﷺ- وقع بعد الوتر قبل صلاة الفجر ولا يعارض ذلك حديث عائشة لأن المراد به نومه -ﷺ- بين صلاة الليل وصلاة الفجر ، وغايته انه تلك الليلة لم يضطجع بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح (٢) .

قلت : يبدو من رواية النسائي هذه أنه -ﷺ- يصلي ركعتي الفجر بعد الآذان متصلا وهذا يخالف ما جاء في البخاري وهو الراجح عند الحافظ ابن حجر ، فظهر ان ابن عباس متفرد بهذه الرواية .

[يتبع]

---

(١) سنن النسائي : ٢/٢٥٦ .

(٢) افاداته على سنن النسائي : ص/٦١ .

(٣) انظر فتح الباري : ٣/٣٦ ، ط : دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة .

بين الضعيف والموضوع

من الأحاديث

[الحلقة الثالثة]

بقلم : الشيخ عبيد الله الأسعدي
عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية ، هتورا ، باندة (الهند)

ومن هذا الباب ما رواه الإمام الترمذي من قصة سفر النبي -ﷺ- مع عمه أبي طالب إلى الشام ثم رده عمه إلى مكة حينما أمره بذلك الراهب بحيراء وجاء فيها ، أرسل أبو بكر معه بلالاً (١) .

وقد حسنه الترمذي ، قالوا كيف هذا وبلال لم يخلق بعد ، وأبو بكر كان صبيًافإنه أصغر من النبي -ﷺ- بسنتين ، وكان النبي -ﷺ- إذ-ذاك اثنتا عشرة سنة ولذا ضعفوا هذا الحديث بل حكموا ببطلانه (٢) وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة :

« الحديث رجاله ثقات ، وليس فيه منكر سوى هذا اللفظ فيحتمل انها مدرجة فيه ، متقطعة من حديث آخر وهما من أحد رواته » (٣) .

ونقل المباركفوري عن الجزري انه قال :

« اسناده صحيح ، ورجاله رجال الصحيح أو أحدهما ، وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ ، وعده أئمتنا وهمًا وهو كذلك » (٤) .

---

(١) الترمذي مع التحفة أبواب المناقب ، باب ما جاء في بدء نبوة النبي -ﷺ- .

(٢) لمعات التنقيح شرح مشكاة المصابيح ، من هامش مشكاة المصابيح : ص/٤٠ ، طبع الهند .

(٣) الاصابة : ١/١٧٧ .

(٤) تحفة الأحوذي : ١٠/٩٢ .

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال :

« قيل مما يدل على بطلان هذا الحديث قوله و « بعث معه أبوبكر بلالاً » وبلال لم يخلق بعد وأبو بكر كان صبيًا » (١) .

وقال ابن القيم في زاد المعاد :

« هو من الغلط الواضح فإن بلالاً إذ ذاك لعله لم يكن موجودًا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع أبي بكر» (٢) .

والمثال الثالث : حديث رواه أبو داؤد والترمذي وغيره ورواه الترمذي في باب ما جاء إذا استكرهت المرأة على الزنا من أبواب الحدود وقال فيه :

« إنه حسن غريب صحيح » (٣) .

قال الذهبي في التذكرة :

« حديث منكر جدا ، على نظافة إسناده صححه الترمذي » (٤) .

٧- ب -٢- صحة المعنى مع عدم صحة السند :

ومن هذا القبيل حديث معاذ المشهور عند الفقهاء وفي كتب الفقه وأصوله ، ورواه بعض أصحاب السنن وغيرهم ، الذي جاء فيه انه -ﷺ- لما بعثه إلى اليمن .

« فقال : كيف تقضى ؟ قال : أقضى بما في كتاب الله ، قال : فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ، قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيي ، الحديث » (٥) .

---

(١) ميزان الاعتدال : ٢/٥٨١ .

(٢) زاد المعاد :١/١٧ ، ولفظ البزار في مسنده (وأرسل معه عمه رجلاً) .

(٣) الترمذي مع التحفة : ٥/١٧-١٨ .

(٤) الكوكب الدري ، من تعليقات الشيخ محمد زكريا : ٢/٣٨٤ ، تذكرة الحفاظ .

(٥) الترمذي مع التحفة : ٤/٥٥٧ .

قال ابن الجوزي فيه :

« لا يصح وان كان الفقهاء كلهم يذكرونه في كتبهم ويعتمدون عليه ، ولعمري إن كان معناه صحيحًا إنما ثبوته لا يعرف » (١) .

وراجع تحفة الأحوذي تجد فيه كلمة الحافظ ابن القيم ، في مثل هذه الأحاديث وهو يثبت حجية الحديث المذكور :

« وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد » (٢) .

وروى ابن حزم في المحلى ان رجلاً كان يسوق امه فجاء رجل على فرس يركض فنفر الحمار من وقع حافر الفرس فوثب فوقعت المرأة فماتت فاستأذن عمر بن الخطاب :

« فقال عمر : ضرب الحمار ؟ فقال : لا ، فقال : أصاب الحمار من الفرس شئ ؟ قال : لا ، قال : أمك أتت على أجلها فاحتسبها » .

قال ابن حزم :

« أما الرواية عن عمر فهي وان لم تصح من النقل فمعناها صحيح وبه نأخذ » (٣) .

ونجد في كتب الوضوعات والأحاديث المشهورة على ألسنة الناس كثيرًا من الأحاديث ، يقول فيها الأئمة و المحققون - « انه صحيح معنى » - .

مثل الحديث « حب الوطن من الإيمان » قال السخاوي « معناه صحيح » (٤) .

---

(١) العلل المتناهية : ٢/٢٧٢ .

(٢) تحفة الأحوذي : ٤/٥٥٨ .

(٣) اعلاء السنن : ١٨/٢٢٨ من (المحلي لابن حزم) ١١/٩ .

(٤) (كشف الخفاء ومزيل الالباس) ١/٣٤٥ (الموضوعات الكبير) ص/٣٥ .

ومثل حديث « لولاك لما خلقت الافلاك » قال العجلوني « معناه صحيح وإن لم يكن حديثًا » (١) ونحوه قول العلامة الكشميري (٢) وجاء في « توجيه النظر» .

إن في كثير من الأحاديث الضعيفة .. ما هو صحيح المعنى فصيح المبنى (٣) .

٨-ج-٢- التصحيح والتحسين مع الانقطاع الظاهر :

ومن الباب الثالث الذي ذكرته ، ما روى الترمذي في أبواب اللباس بسنده إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان الحسن والحسين يتختمان في يسارهما : وقال « هذا حديث صحيح » (٤) .

قال الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي :

« يشكل على المصنف تصحيح الحديث مع ان محمد الباقر لم ير الحسنين - رضي الله عنهما - والحديث منقطع » (٥) .

وتوضيحه ان هذا الحديث رواه حفيد الحسين بن علي - رضي الله عنهما - وهو محمد الباقر ، عن جده الحسين وأخي جده الحسن - رضي الله عنهما - مع ان محمد الباقر ولد بعدهما بعشرات من السنين ولم يدرك أحدهما ففيه انقطاع غير خفي ، ومع ذلك صححه الإمام الترمذي ، ومن الجدير بالذكر ان الشارح المباركفوري لم ينبه عليه مع انه ذكر في شرحه رواية البيهقي عن محمد الباقر وفيه زيادة .

---

(١) (كشف الخفاء) ١/١٦٤ .

(٢) (ملفوظات المحدث الكشميري) ص/٢١١ .

(٣) (توجيه النظر) ص/٧٥ .

(٤) (الترمذي مع التحفة) ٥/٤٢٢ .

(٥) (تعليقات الشيخ علي الكوكب الدري) ٢/٤٤٨ .

« كان النبي -ﷺ- وأبو بكر وعمر وعلي » الحديث (١) نقلاً عن فتح الباري - والحافظ ابن حجر أيضًا مربه بدون كلام فيه فقد قال : « أخرج البيهقي في الأدب من طريق أبي جعفر الحديث ، وأخرجه الترمذي موقوفًا على الحسن والحسين فحسب » (٢) .

و عنده حديث آخر كذلك رواه في « باب ما جاء في قطيعة الرحم » من « أبواب البر والصلة »وهو حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال اشتكى أبو الدرداء فعاده عبد الرحمن بن عوف ، الحديث وصححه أيضًا ، قال المباركفوري :

« قال المنذري وفي تصحيح الترمذي له نظر ، فإن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئا قاله يحيى بن معين وغيره (٣) .

ومن العجيب إن أبا داؤد وابن حبان وغيرهما روياه .

« عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن الرداد الليثي عن عبد الرحمن ابن عوف » (٤) . وأشار الترمذي أيضًا إليه ثم حكى عن البخاري قوله :

« حديث معمر خطأ » .

وذلك مع ان البخاري رواه في « الأدب المفرد له » عن الزهري عن أبي سلمة إن أبا الرداد الليثي أخبره عن عبد الرحمن . الحديث » إلا أنه رواه عن محمد بن أبي عتيق عن الزهري « لا عن معمر عن الزهري » (٥) .

والحافظ ابن حجر ذكر حديث عبد الرحمن بن عوف المذكور في فتح

---

(١) (تحفة الأحوذي) ٥/٤٢٢ .

(٢) (فتح الباري) ٩/٢٢٧ .

(٣) (تحفة الأحوذي) ٦/٢٤ .

(٤) (أبو داؤد) كتب الزكاة ، باب صلة الرحم .

(٥) (الأدب المفرد) فضل صلة الرحم . ورواه الحاكم أيضًا في (المستدرك) ٤/١٥٧

الباري (١) لكنه لم يتكلم هناك فيه بشئ ، نعم انه تكلم فيه في التهذيب في ترجمة .

فقال : « روى أبو داؤد حديث معمر عن الزهري عن أبي سلمة - وهو الصواب - أن رداداً أخبره عن عبد الرحمن بن عوف ، إلخ » .

قال : « ورواه البخاري في « الأدب المفرد » من حديث محمد بن أبي عتيق عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي الرداد الليثي » .

قال : « قلت وتابعه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري كذلك وهو الصواب وقال أبو حاتم الرازي إن المعروف « أبو سلمة عن عبد الرحمن » وأما الرداد الليثي فإن له في القصة ذكرا ، إلا أن رواية شعيب بن أبي حمزة تقوى رواية معمر وللمتن متابع رواه أبو يعلى بسند صحيح من طريق عبد الله بن قارظ عن عبد الرحمن بن عوف من غير ذكر أبي الرداد فيه » (٢) .

كما أن الإمام الترمذي حسن أيضًا مع الانقطاع الظاهر ، فمن ذلك ما رواه في « باب ما يقول عند دخول المسجد » بسنده أبي عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى - رضي الله تعالى عنها - قالت كان رسول الله -ﷺ- الحديث » و قد حسنه مع انه قال : « ليس اسناده بمتصل و فاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى (٣) » .

---

(١) (فتح الباري) ١٠/٤١٨ .

(٢) (تهذيب التهذيب) ٢/٢٢٤ . (التعليقات على جامع الأصول) ٦/٤٨٦ . قول رواه الإمام أحمد أيضًا من طريق ابن قارظ عن عبد الرحمن بن عوف (مسند أحمد) ١/١٩١ . كما رواه الحاكم في (المستدرك) ٤/١٥٧ . وقد استوعب الحاكم جميع طرقه التي جاء ذكرها هنا راجع (المستدرك) ٤/١٥٧-١٥٨ .

(٣) (الترمذي مع التحفة) ٢/٥٥-٢٥٢ .

قال الشارح المباركفوري :

« الظاهر انه حسنه لشواهده وقد بينا في المقدمة ان الترمذي قد يحسن الحديث مع ضعف الاسناد للشواهد (١) » .

وقال البنوري في امالى شيخه : « وقد تكلف من تأول أنه حسنه نظرا إلى شواهده فإن مثل ذلك من قبيل الحسن لغيره ، والمتبادر في مثل ههنا الحسن لذاته على انه لو نظر إلى شواهده لكان يستحق أن يجعله صحيحا ولا ينزل إلى حسنه » (٢) .

أقول ما أدعاه الشيخ البنوري من كونه « حسنا لذاته » لعل ذلك نظرًا إلى رواته وأحوالهم فإنه لا يوجد فيهم أحد تكلموا فيه غير « ليث بن أبي سليم » وهو صدوق اختلط أخيرًا ولم يتميز حديثه فترك (٣) لكن قال الهيثمي فيه « هو ثقة مدلس » (٤) وقد حسن له الترمذي حديثا في أبواب الحج ومع هذا الخلاف فيه لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن لذاته مع ثقاهة رجال الحديث سواه ، والله تعالى أعلم .

وحديث آخر حسنه الترمذي كذلك ، ما رواه في « باب ما جاء في مقدار القعود في الركعتين الأوليين » بسندهإلى أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، كان رسول الله -ﷺ- إذا جلس في الركعتين الأوليين كأنه على الرضف » .

ثم قال الترمذي :

« هذا حديث حسن إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه » .

---

(١) (تحفة الأحوذي) ٢/٢٥٥ .
(٢) (معرف السنن) ٢/٢٩٢ .
(٣) (التقريب) ٢/١٢٨ .
(٤) (مجمع الزوائد) ٢/١٦ ، باب في المساجد المشرقة والمزينة .

قال المشارح المباركفوري :

« فالحديث منقطع » (١) .

٩- الحكم على الحديث بالذوق الخاص :

أقول وأيضًا لعل التصحيح والتحسين لمثل هذا قولاً وصراحةً أو عملاً ودلالةً - وذلك بذكر هذه الأحاديث فيما التزم فيه بإخراج الصحيح والحسن واشترط فيه لذلك - بإدراك الاتصال من خارج السند وسيأتي بعض التفصيل وكذا بالذوق الذي يحصل لأهل الفن وأصحاب الممارسة ، فقد ذكر إمام العصر العلامة محمد أنور الكشميري في أماليه على سنن الترمذي بعد أن ذكر تحسين الترمذي لحديث فاطمة بنت الحسين الذي تقدم :

« ذلك يدلنا على أن أصحاب الفن ربما يحكمون على الحديث نظرا إلى أذواقهم الخاصة ولا يراعون القواعد العامة والأصول المدونة » (٢) .

ويقول الإمام الذهبي في كلامه على الحديث الموضوع ومراتبه ، ولهم في نقد ذلك طرق متعددة وإدراك قوي تضيق عنه عباراتهم ، من جنس ما يؤتاه الصيرفي الجهبذ في نقد الذهب والفضة أو الجوهري لنقد الجواهر والفصوص لتقويهما ، فلكثرة ممارستهم للألفاظ النبوية ، إذا جاءهم لفظ ركيك ... فيحكمون بأن هذا مختلق » (٣) .

وقال البنوري في كلامه بترجيح الإمام الترمذي لرواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود مع عدم سماعه عن أبيه في المشهور :

---

(١) (تحفة الأحوذي مع الترمذي) ٢/٢٦٢ .

(٢) (معارف السنن) ٢/٢٩٢ .

(٣) (الموقظة) ص/٢٧-٢٦ .

« وغرضه ان رواية أبي إسحاق عن أبي عبيدة أثبت ، وربما يكون الانقطاع أصح من الاتصال كما يكون الوقف أصح أحيانًا عن الرفع باعتبار نفس الثبوت ، وأما الترجيح بينهما فليكن من باب آخر ، فلم يلاحظ ضابطة الترجيح في المنقطع والمتصل ومن هنا يعلم أن العلم هو ثلج الصدر لا اتباع الضوابط المخرجة كما يقول الشاه ولي الله الدهلوي في « حجة الله البالغة » (١) » .

نصوص من الأئمة تدل على ان المقصود من الاسناد هو التثبت و الاعتمـــاد :

كل هذا - ومثل هذا يرشدنا إلى ما ذكرت أن الإسناد مع أنه شئ عظيم لكنه ليس كل شئ وآخر شئ ، ومن المستحسن بل من الواجب تقديم نقول من فحول المحققين والأئمة تدلنا على هذا وعلى ما مشوا عليه في قبول الحديث والعمل به أو رده وطرحه - مع ما ذكروا من مكانة الإسناد وعظمته في الدين ، فيتضح به لنا ما أرادوا بأهمية الإسناد من الدين وما قصدوه .

وجملته انهم قصدوا بذلك الاعتماد والاستناد واطمئنان القلب أو غلبة الظن - بثبوت ما نكون بصدده ، فليس الإسناد إلا وسيلة إلى ذلك ، وقد يطمئن القلب بل يستيقن المرء بثبوت بعض الأشياء بدون اتصال السند وبدون الإسناد - كما أنه ربما يرده ردًا وافرًا مع السند واتصاله والوثوق به وتقدمت الأمثلة .

١١- ما يقوم مقام الإسناد من هذا الاعتماد والاستناد :

قال العلامة أبو الحسنات عبد الحي اللكنوي :

---

(١) (معارف السنن) ١/١٢٥ .

« إن كان لابد للإسناد في كل أمر من أمور الدين لكن قد يقوم مقامه نقل من يعتمد عليه وتصريح من يستند إليه . لا سيما في الأعصار المتأخرة لفوات اهتمام الإسناد فيها بالشروط المقررة . فإن شُدد فيها بطلب الإسناد في كل أمر فات المراد فيكتفي بتصريح من عليه الاعتماد . ولهذا جوزوا العمل والإثبات بالأحاديث المدونة في الكتب المتعمدة وإن لم يوجد لها عند العامل والمثبت طريق متصل إلى صاحب الحديث أو إلى مؤلف الكتب المدونة » (١) .

ونقل عن العز بن عبد السلام أنه قال بصدد ذلك :

« وكتب الحديث أولى بذلك من كتب الفقه وغيرها لاعتنائهم بضبط النسخ وتحريرها فمن قال إن شرط التخريج من كتاب يتوقف على اتصال السند إليه فقد خرق الإجماع » (٢) .

وحكى الأستاذ أبو إسحاق الاسفرائيني :

« الإجماع على جواز النقل من الكتب المعتمدة ولا يشترط اتصال السند إلى مصنفيها وذلك شامل لكتب الحديث والفقه » (٣) .

١٢ - ليس الأمر بمجرد الرواية :

أما أهل العلم فلا يصدقون بالنقل ويكذبون بمجرد موافقة ما يعتقدون بل قد ينقل الرجل أحاديث كثيرة فيها فضائل النبي -ﷺ-

---

(١) (الأجوبة الفاضلة) ص/٥٩-٦٠ . ونحوه قول محمد بن إبراهيم الوزير اليماني (الروض الباسم) ١/٢٩٧ .

(٢) نفس المصدر : ص/٦٣ . و (تدريب الراوي) ١/١٥٢ .

(٣) (الأجوبة الفاضلة) ص/٦٢ . ونحوه في (فتح المغيث) ص/٥٦ . نقلاً عن ابن برهان وغيره بل عقد في ألفية العراقي وفي فتح المغيث فصل خاص بهذا : ص/٥٢-٥٨ .

وأمته وأصحابه . فيردونها لعلمهم بأنها كذب ويقبلون أحاديث كثيرة لصحتها وإن كان ظاهرها بخلاف ما يعتقدونه . إما لاعتقادهم أنها منسوخة . أولها تفسير لا يخالفونه ونحو ذلك .

فالأصل في النقل أن يرجع فيه إلى أئمة النقل وعلمائه وأن يستدل على الصحة والضعف بدليل منفصل عن الرواية فلابد من هذا وهذا .

وإلا فمجرد قول القائل « رواه فلان » لا يحتج به . لا أهل السنة ولا الشيعة . وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف فكل حديث نطالبه في أول مقام بصحته (١) .

وذكر صاحب فتح الملهم أنه قال السمعاني في القواطع :

« إن الصحيح لا يعرف برواية الثقات فقط وإنما يعرف بالفهم والمعرفة وكثرة السماع والمذاكرة » (٢) .

وسيأتي قول العلامة الكشميري :

« إنما القواعد للفصل فيما لم ينكشف أمره من الخارج على وجهه » (٣) .

[يتبع]

---

(١) (منهاج السنة) ٤/١٢ . (قواعد في علوم الحديث) ص/٢٧٤-٢٧٥ .

(٢) (فتح الملهم) ١/١٦ .

(٣) (الأجوبة الفاضلة - التعليقات) : ص/٢٢٨ . و (فيض الباري) ٢/٤٠٩ .

تعريف وجيز

بمسانيد الإمام الأعظم أبي حنيفة وأصحابها

للمحدث الجليل فضيلة الشيخ عبد الرشيد النعماني

[الحلقة الثالثة]

تعريب : بلال عبد الحي الحسني الندوي

كانت هذه التراجم لكبار الأئمة والمحدثين الذين أفردوا الكتب بجمع مرويات الإمام أبي حنيفة بأسانيدهم ، ثم جمع قاضي القضاة المحدث أبو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي (م ٦٥٥هـ) خمسة عشر مسندًا من هذه المسانيد ، وسمى كتابه : « جامع مسانيد الإمام الأعظم » .

يقول في مقدمة هذا الكتاب : إني سمعت من بعض الجهلاء بالشام أنه ليس للإمام أبي حنيفة أي مسند وانه يروى عدة أحاديث فقط ، فانبعثت فيّ الحمية المسلكية الحنفية ، فأردت أن أجمع خمسة عشر مسندًا له ، جمعها مشاهير العلماء المحدثين ، وهذه المسانيد هي :

١- مسند الإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي البخاري المعروف بعبد الله الأستاذ .

٢- مسند الإمام الحافظ أبي القاسم طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد .

٣- مسند الإمام الحافظ أبي الحسين محمد بن المظفر .

٤- مسند الإمام الحافظ أبي نعيم الأصفهاني .

٥- مسند الإمام أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري .

٦- مسند الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدى الجرجاني .

٧- مسند الإمام حسن بن زياد اللؤلؤي .

٨- مسند الحافظ عمر بن الحسن الأشناني .

٩- مسند الحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن خالد بن خلى الكلاعي .

١٠- مسند الإمام الحافظ أبي عبد الله حسين بن محمد بن خسرو البلخي .

١١- مسند الإمام أبي يوسف القاضي الذي سمى بنسخة أبي يوسف .

١٢- مسند الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، هو سمى بنسخة محمد .

١٣- مسند الإمام حماد بن أبي حنيفة .

١٤- مسند الإمام محمد الذي سمى بالآثار .

١٥- مسند الإمام الحافظ أبي القاسم عبد الله بن أبي العوام السعدي .

إن المحدث الخوارزمي ذكر سائر كتب الحديث المروية عن أبي حنيفة التي رواها عنه الإمام حماد والإمام أبو يوسف والإمام محمد باسم المسند. وفي الحقيقة هي نسخ كتاب الآثار (١) ، وكذلك مسند الحافظ أبي بكر الكلاعي نسخة لكتاب الآثار التي يرويها عن جده محمد بن خالد الوهبي المتوفى قبل تسعين ومئة من الهجرة ، وصرح الخوارزمي في الباب الأخير لجامع المسانيد في ترجمة أبي بكر الكلاعي بأن هذا المسند وإن كان منسوبا إليه ، ولكن جمعه محمد بن خالد الوهبي وهو يرويه عن الإمام أبي حنيفة بغير واسطة ، فإن هذا المسند نسب إلى أبي بكر الكلاعي من حيث الرواية لا من حيث الجمع والتدوين .

وذكر العلامة الشيخ عبد العزيز بن ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي - رحمه الله - جامع المسانيد في كتابه : « بستان المحدثين » فقال :

« إن مسند الإمام أبي حنيفة الذي هو معروف بين العلماء هو من

---

(١) فليراجع للتفصيل مقالتنا « كتاب الآثار وصاحبه » في هذه المجلة:

مصنفات قاضي القضاة أبي المؤيد محمد بن محمود بن محمد الخوارزمي - رحمه الله - ، نشره سنة أربع وسبعين وست مائة من الهجرة (١) ، وهو جمع مسانيد الإمام الأعظم التي صنفها العلماء المتقدمون ، وما ترك شيئًا من الأحاديث المروية عنه ، كما هو يزعم ، والمسانيد التي سبق بها العلماء كثيرة ، ذكر الخوارزمي في مقدمة كتابه أسماءها وأسماء جامعيها وأسانيدها منه إلى أصحابها ، ولكن أشهرها مسندان تلقاهما العلماء بالقبول ، وهما مسندا حافظ الحديث عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي ، وحافظ العصر حسين بن محمد بن خسرو - رحمهما الله - وقد حصلت لي إجازة هذه المسانيد الثلاثة من شيوخي » .

ولا يصح زعمه هذا أنه استوعب أحاديث الإمام أبي حنيفة في هذا المسند ، لأن عدد مروياته يبلغ إلى أربعة آلاف حديث ، يقول الإمام حسن بن زياد اللؤلؤي :

« كان أبو حنيفة يروي أربعة آلاف حديث ، ألفين لحماد ، وألفين لسائر المشيخة (٢) ، وليس في مسند الخوارزمي نصف مروياته بل كما صرح الشيخ أبو الوفاء الأفغاني في مقدمة كتاب الآثار لأبي يوسف - رحمه الله - أنه لم يستوعب جميع آثار المسانيد التي قال إنه جمعها ، كما تتبعته وقابلته على كتاب الآثار للإمام محمد ومسند الحارثي » .

ويقول الشيخ الأفغاني في رسالته التي كتب إلي في ٢ من ربيع الثاني سنة ١٣٧٢هـ .

---

(١) هذا لا يصح لأن المحدث الخوارزمي توفي قبل هذا بتسعة عشر عاما في سنة ٦٥٥ من الهجرة .

(٢) مناقب الإمام الأعظم لصدر الأئمة موفق بن أحمد المكي : ٩٦/١ ، طبع دائرة المعارف بحيدرآباد الدكن - الهند .

« إن الحافظ ابن خسرو أخذ في مسنده كتاب الآثار للإمام حسن بن زياد وذكره الخوارزمي في جامع المسانيد كما أخذ الكلاعي كتاب الآثار لمحمد بن خالد الوهبي بتخريجه ، والخوارزمي جمع في كتابه عشرة مسانيد تقريبًا ، ولكن الأسف أنه ترك كتاب الآثار للإمام أبي يوسف ومسند أبي نعيم الأصفهاني ومسند ابن عدي ومسند الحافظ ابن أبي العوام ، لا أعلم ما هي أسبابه ، إنه ذكر أسانيد هذه الكتب في بداية كتابه ، ولم يذكر كتاب الآثار لأبي يوسف ، وأما غير ذلك فذكر في بعض الأحيان وترك الأكثر ، فهذا الكتاب ناقص ، وباب المشايخ فيه انقص الأبواب ، وفيه أغلاط ، ولو يذكر مسند أبي نعيم لكان يسهل علينا تصحيحه » .

ولأن المحدث الخوارزمي جمع في كتابه أكثر أحاديث المسانيد لأبي حنيفة فطارصيته في الآفاق وصارت به الرفاق وشرحه بعض كبار العلماء ، منهم الحافظ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي (م ٨٧٩هـ) شرحه في مجلدين ضخمين ، انتفع بهذا الشرح الحافل العلامة السيد مرتضى الزبيدي في كتابه : « عقود الجواهر المنيفة » ومنهم الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي (م ٩١١هـ) فإنه سمى شرحه « التعليقة المنيفة على مسند أبي حنيفة » واختصر هذا الكتاب بعض كبار المحدثين والعلماء منهم الإمام شرف الدين إسماعيل بن عيسى بن دولة الأدنماني الكي (م ٨٩٢هـ) له « اختيار اعتماد المسانيد في اختصار أسماء بعض رجال الأسانيد » ذكر في بداية كتابه مناقب الإمام أبي حنيفة أيضًا . ومنهم الإمام أبو البقاء أحمد بن أبي الضياء محمد القرشي المكي . له « المستند في مختصر المسند » حذف فيه الأحاديث المكررة والأسانيد التي ساقها المؤلف منه إلى الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - ومنهم الشيخ أبو عبد

الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحنفي وذكر الجلبي مختصرًا آخر له غير هذه الثلاثة وما عشرنا على صاحبه ، وجمع العلامة حافظ الدين محمد ابن محمد الكردري المعروف بالبزازي (م ٨٢٧هـ) زوائده على الصحاح الستة ، وذكر صاحب كشف الظنون الكاتب الجلبي كتابا للمحدث أبي حفص زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي الشافعي (م ٩٢٦هـ) باسم : « لقط المرجان من مسند أبي حنيفة النعمان » ولعله هو مختصر مسند الخوارزمي .

وفي العصر الأخير أخذه العلامة المحدث السيد مرتضى الزبيدي الحنفي (١٢٠٥هـ) وانتخب منه أحاديث الأحكام التي وافق فيها الأئمة الستة أو بعضهم في كتبهم ، وهذا كتاب مفيد طبع بمصر في مجلدين باللآلة الكاتبة بالحروف الصغيرة ، يورد فيه المؤلف رواية الإمام أبي حنيفة ، ثم يسوق روايات أصحاب الستة بألفاظها وسماه : « عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة فيما وافق فيه الأئمة الستة أو بعضهم » ورتبه على أبواب الفقه ، ذكر أولا أبواب العقائد ، ثم ذكر أبواب الأعمال .

طبع جامع المسانيد للخوارزمي بدائرة المعارف الإسلامية في حيدر آباد الدكن ، في مجلدين ضخمين ، ويبلغ فيه عدد تلاميذ الإمام الذين رووا عنه بغير واسطة إلى خمس مائة .

والأسف أنه ما طبع مسانيد الإمام التي رتبها كبار المحدثين سوى هذا الجامع ، وأربعة من هذه المسانيد موجودة في « مجلس إحياء المعارف النعمانية بحيدرآباد الدكن ، وهي :

١- مسند ابن أبي العوام . ٢- مسند الحارثي (١) .

---

(١) طبع مختصره للعلامة الحصكفي الذي رتبه العلامة عابد السندي على أبواب الفقه .

٣- مسند أبي نعيم الأصفهاني . ٤- مسند ابن خسرو .

المكانة العلمية لمسند أبي حنيفة :

يقول الشيخ المحدث محمد بن جعفر الكتاني في كتابه : « الرسالة المستطرفة في بيان كتب السنة المشرفة » الذي هو من أبدع كتبه في بيان طبقات كتب الحديث بعد ما ذكر الصحاح الستة ومسند أبي حنيفة ومؤطأ مالك ، ومسند الشافعي ومسند أحمد .

« فهذه كتب الأئمة الأربعة وبإضافتها إلى الستة الأولى تكمل الكتب العشرة التي هي أصول الإسلام وعليها مدار الدين » (١) .

ويقول الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن حمزة الحسيني الدمشقي في مقدمة التذكرة برجال العشرة ، الذي يحتوى على رجال كتب الأئمة الأربعة والصحاح الستة ، وأخذ منه الحافظ ابن حجر في : « تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة » .

« مسند الشافعي موضوع لأدلته على ما صحح عنده من مروياته وكذلك مسند أبي حنيفة » .

وكذلك عد الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي مسند أبي حنيفة في أمهات كتب الحنفية ، وصرح في كتابه : « قرة العينين في تفضيل الشيخين » .

« بناء الفقه الحنفي على مسند أبي حنيفة وآثار الإمام محمد - رحمه الله - (٢) » .

قد سلف رأى الحافظ الحسيني وهو من كبار الحفاظ والمحدثين

---

(١) الرسالة المستطرفة : ص/١٦ . طبع بيروت سنة ١٣٢٢هـ .

(٢) قرة العينين في تفضيل الشيخين : طبع المطبعة المجتبائية بدلهي : ص/١٨٥ و ١٧١ .

الشافعية ومن الحذاق المهرة في فن الحديث (١) . ويقول العلامة الإمام العارف الجليل الشيخ عبد الوهاب الشعراني وهو أيضًا من كبار العلماء الشافعية .

« وقد من الله تعالى عليّ بمطالعة مسانيد الإمام أبي حنيفة الثلاثة من نسخة صحيحة . عليها خطوط الحفاظ آخرهم الحافظ الدمياطي . فرأيته لا يروى حديثًا إلا عن خيار التابعين العدول الثقات الذين هم من خير القرون بشهادة رسول الله -ﷺ- كالأسود و علقمة و عطاء و مجاهد ومكحول والحسن البصري وأضرابهم - رضي الله عنهم أجمعين - فكل الرواة الذين هم بينه وبين رسول الله -ﷺ- عدول ثقات أعلام أخيار ليس فيهم كذاب ولا متهم بكذب . وناهيك يا أخي بعدالة من ارتضاهم الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - لأن يأخذ عنهم أحكام دينه مع شدة تورعه . وتحرزه وشفقته على الأمة المحمدية » (٢) .

و يقول : « كل حديث وجدناه في مسانيد الإمام الثلاثة فهو صحيح » (٣) .

وليعلم أن الإمام الشعراني قد صرح قبل ذلك « إني لم أجب عن الإمام أبي حنيفة وغيره بالصدر وإحسان الظن كما يفعل ذلك غيري . وإنما أجيب عنه بعد التتبع والفحص (٤) » فعلم من قوله هذا أنه أبدى رأيه عن مسانيد أبي حنيفة بعد الفحص التام والبحث والتحقيق .

[يتبع]

---

(١) فليراجع فيه ذيل الحافظ ابن فهد وذيل الحافظ السيوطي على تذكرة الحفاظ للذهبي .
(٢) الميزان الكبرى : ١/٦٤ . طبع مصر .
(٣) أيضًا : ١/٦٥ .
(٤) أيضًا : ١/٦٣ .

تصارع الحضارات

بقلم : سعادة الدكتور شوكت محمد عليان
أستاذ الثقافة الإسلامية - الرياض

كانت السمات الحضارية السابقة للإسلام . تبرز في الاهتمام بالمطالب المادية للإنسان . والتي غالبا ما تتمثل في حب الذات . والأنانية المفرطة . والتمايز العنصري المتمثل في الاستعلاء الطبقي . وهذا من شأنه أن يجعل أصحاب هذه الحضارات يعتمدون على القوة المادية وحدها في تفاعلهم مع تلك الحضارات وتفهمهم لها .

وتأييدا لما ذكرت . نسترشد بالقرآن الكريم . ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ أ لم تر كيف فعل ربك بعاد • إرم ذات العماد • التي لم يخلق مثلها في البلاد • وثمود الذين جابوا الصخر بالواد • وفرعون ذي الأوتاد • الذين طغوا في البلاد • فأكثروا فيها الفساد • فصب عليهم ربك صوت عذاب ... ﴾ (١) .

فعاد قبيلة من العرب البائدة . وتلقب بارم أيضًا . وهم الذين بعث الله فيهم رسول الله هود - عليه السلام - . فكذبوه فأهلكهم بريح صرصر عاتية . وقد كانت لهم خيام ذات اعمدة عالية . وهم أهل قوة وبطش . من الله تعالى بها عليهم . حيث قال جل شأنه :

﴿ و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة • فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴾ (٢) .. فقد كان لهم يد طولى على من

---

(١) سورة الفجر . الآيات : ٦-١٢ .
(٢) سورة الأعراف . الآية : ٦٩ .

سواهم ، مغرورين بقوتهم ، متجاهلين الحق والعدل والكرامة الإنسانية .

﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة • أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة •• ﴾ (١) .

وأما ثمود فهم قوم صالح - عليه السلام - قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا ، وفرعون صاحب الجند الذين يشدون له أسره ، أو صاحب أوتاد يشد بها من يعذبه ، أو بمعنى القوة تم له بها ملكه ، ورسخ بطشه وسلطانه .

وهؤلاء جميعًا أفسدوا في البلاد ، فألحقوا الضرر بالناس ، وهضموا حقوقهم ، فأنزل الله بهم عذابه ، وأحل بهم نقمته بما طغوا في البلاد ، وأكثروا فيها الفساد .

﴿ و إلى مدين أخاهم شعيبًا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (٢) ، أي بالبغي على أهلها ، وقطع الطريق على الناس وظلمهم ، وأكل حقوقهم ، ﴿ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ (٣) ، وهذه هي عقوبتهم بسبب جورهم وإفسادهم ، معتمدين على قوتهم وشوكتهم .

﴿ وقارون و فرعون و هامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ﴾ (٤) ، أي : ما كانوا يفوتون الله أن يفعل بهم ما يريد (٥) .

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٣٧ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية : ٣٩

(٥) زاد المسير في علم التفسير : ٦/٢٧٢ .

قال تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه ﴾ أي عاقبناه بتكذيبه ، ﴿ فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا ﴾ يعني قوم لوط ﴿ ومنهم من أخذته الصيحة ﴾ يعني ثمودا وقوم شعيب ﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ يعني قوم نوح وفرعون ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ فيعذبهم على غير ذنب ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بالإقامة على المعاصي .

وهكذا كانت نظرة الأقوام السابقة للحضارة الإنسانية على أنها القوة والغلبة والبطش في الأرض .

وأما العدل والمساواة واحترام حقوق الإنسان وتوحيد الله الخالص وعبادته وحده فلم يكن يعرف ذلك إلا قلة ممن آمن برسل الله وبقوا على إيمانهم .

ولذا قال جل شأنه : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه • فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ أي ريحا عاصفا فيها حصباء وهم قوم لوط .

﴿ ومنهم من خسفنا به الأرض ﴾ كقارون .

﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ، إلى غير ذلك من الأقوام التي تعرضت لعقاب الله بفعلهم ما يوجب ذلك من البغي والفساد .

ويصور الله تبارك وتعالى الذين يعملون في هذه الحياة الدنيا بمحض قوتهم وارداتهم وتكتلاتهم دون اعتبار لقدرة الله وإرادته كمثل العنكبوت الذي يتخذ له بيتا معتمدا على قوته ، يدفع به الحر والبرد ، ولكن هذا البيت من أوهن البيوت أي أضعفها ، لأنه لا يحتمل مس أدنى الحيوانات ، وأضعف الرياح ، ولا يدفع شيئًا من الحر والبرد .

والناظر بعين البصيرة يرى أن معظم حضارات العالم لم تقم على أسس أخلاقية ثابتة ، بل قامت على أسس نفعية مادية ، وما دامت هي كذلك فلا خير عند أصحابها أن تنتشر في ظلها الفواحش والمنكرات ، ويألفها

الجميع . فتصبح عرفا سائدًا في مجتمعاتهم . وعادة مقبولة في نفوسهم كشرب الخمر مثلاً . واعتبار الزنا تكسبا . والنهب والسلب وأكل أموال الناس بالباطل شجاعة . إلى غير ذلك من الأمور التي اعطتها الأعراف والقوانين صبغة نفعية مادية .

الحضارة في ظل المفهوم الإسلامي :

إذا رجعنا إلى المفاهيم العامة للإسلام . وقد احطنا بمبادئه وتعاليمه أيقنا بما لا يدع مجال للشك ان للحضارة في الإسلام مفهوما يتسامى على سائر المفاهيم التي سادت عند الأمم (١) .

فهي في ظل تعاليم الإسلام . أنواع من الخبرة والمعرفة يستخدمها الإنسان في تهذيب الغرائز والسلوك . وتقويم الاستجابة لها . ويستخدمها كذلك في سائر مختلف أنشطة الحياة المادية في سبيل رقي حياته .

ويمكن تلخيص النظرة الإسلامية للحضارة فيما يلي :

أولا : في مجال تصور الألوهية . نجد انحرافا كبيرًا في العقيدة لدى كثير من الأمم يتمثل هذا . في الشرك بالله تعالى . والتشبيه والتمثيل ببعض مخلوقاته . كقولهم الملائكة بنات الله . وتسميتهم الله أبا . وغير ذلك من أنواع التمثيل والتشبيه .

والإسلام يرفض هذا وذاك . فهو سبحانه ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ (٢) . ﴿ قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد • و لم يولد • و لم يكن له كفوًا

(١) و للمزيد . انظر الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع : ص/٩٨ . و ما بعدها لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد اللحيدان . فقد أوفى الموضوع حقه . حول جملة المفاهيم . فأفاد وأجاد .

(٢) سورة الشورى . الآية : ١١ .

أحد ﴾ (١) وهو ﴿ رب العالمين ﴾ (٢) وليس أبا العالمين .

ثانيا : في مجال النظر إلى الكون : يقرر الإسلام ان الله تبارك وتعالى . هو خالق الكون وما فيه . وانه تعالى وحده المتصرف فيه . وان الجميع يخضع لإرادته ومشيئته . وإن العلم لم يخلق النظريات . أو المادة . ولم ينشئها ابتداء . وكل ما عمله الإنسان أنه اكتشف هذه النظريات والقوانين العلمية . واستخدمها بحسب أنظمة الله في الكون . فالله تعالى خالق كل شئ . ومالك كل شئ . ومعلم كل شئ . و واهب كل شئ .

والإنسان مهما بلغت قوته . وعظمت سطوته . ومهما قهر من قوى الطبيعة . وسخرها لمشيئته فهو عبد الله . وقد أنعم الله عليه بكل شئ . فحرى به أن يستخدم نعم الله وفق إرادة الله . وطبقا لمشيئته . فهو مستخلف في الأرض لعمارتها وعبادته وحده تعالى . وأكد الإسلام عليه ذلك . ونهاه عن السلبية . بأن يتهاون في حياته أو حياة غيره من إنسان أو حيوان أو نبات . أو يتهاون في الانتفاع بما سخر الله له في هذا الكون . سواء برًا وبحرًا وجوًا .

قال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف الرحيم ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ و آية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًا فمنه يأكلون • وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من

(١) سورة الصمد .

(٢) سورة القصص من الآية : ٢٠ . وقد تكررت في كثير من الآيات من القرآن الكريم .

(٣) سورة الحج . الآية : ٦٥ .

العيون • ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون • سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ (١) .

ورغب الإسلام الإنسان في المحافظة على البيئة ، فحرم عليه الاسراف والتبذير في استعمال المياه .

ونهى عن التبول في الماء الراكد .

ونهى عن التبرز في ظل الناس وفي الطريق العام .

ونهى عن قطع الأشجار إلا لحاجة ضرورية ، وحتى في الحروب ، نهى عن تخريب العامر ، وقطع الأشجار ، كل هذا من قبيل المحافظة على البيئة .

ثالثا : وفي ظل مجال العلوم ، دعا الإسلام الإنسان إلى النظر والتأمل والتفكر والتدبر .

قال تعالى : ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ﴾ (٢) .

ودعوة القرآن الكريم إلى ايقاظ العقل ، وحسن النظر ، وأعمال الفكر ، جاءت في كثير من آيات الله ، بل لا تكاد تخلو منها سورة من السور ، واستيعاب ذلك مما يضيق به هذا المقام ، ونكتفي بالإشارة إلى مثال واحد لذلك :

قال تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات من أعناب و زرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقومٍ يعقلون ﴾ (٣) . فالأرض فيها قطع

(١) سورة ياسين ، الآيات : ٣٣-٣٦ .
(٢) سورة يونس ، جزء من الآية : ١٠١ .
(٣) سورة الرعد ، الآية : ٤ .

متجاورات تختلف بنية كل منها عن الأخرى رغم تجاورها ، ورغم انها تسقى من ماء واحد فتجد بعضها ينبت الزرع ، وبعضها لا ينبته ، وبعضها يصلح لأنواع معينة من الزروع دون غيرها .

وقال تعالى في سياق مخاطبته العقل البشري : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون • سيقولون لله قل أفلا تذكرون • قل من رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم • سيقولون لله قل أفلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون • سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ (١) .

فإذا سلم الإنسان ابتداء بأن الأرض ومن فيها من صنع الله وإنشائه ، وهو مالكها والمتصرف فيها .

وإذا سلم بأن السماوات السبع هي لله هو منشئها ، وهو ربها ، ورب العرش العظيم ، وإذا سلم بأن ملكوت كل شئ لله هو المدبر فيه وحده ، وهو الذي يجير بقوته ولايجار عليه .

إذا سلم الإنسان بكل هذا فقد لزمه أن يسلم بالنتيجة التي تؤدي إليها هذه المقومات ، وهي أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ولذا وقع التكرار بعد كل مقدمة من المقدمات ﴿ أفلا تذكرون ﴾ ﴿ أفلا تتقون ﴾ ﴿فأنى تسحرون ﴾ وقد عاب القرآن الكريم الذين يهملون العقل ويعطلونه عن إدراك العلوم والمعارف ، ويكتفون بتقليد الآباء ، أو يتبعون الأهواء والملل والنحل .

قال جل شأنه : ﴿ و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون ﴾ (٢)

(١) سورة المؤمنون ، الآيات : ٨٤-٨٩ . (٢) سورة البقرة ، الآية : ١٧٠ .

فيتبعون على ما سلكوا من الطريق الذي كان عليه آباءهم ويأتمون بهم في أفعالهم ، ولا يتعقلون فيتدبرون ويهتدون لرشد يهتدى بهم غيرهم ، ويقتدى بهم من طلب الدين ، واراد الحق والصواب .

فإذا روعيت هذه المعاني النبيلة في مجتمع ما ، وكانت أمور الحياة قائمة فيهم على العدل والمساواة والإيثار والمحبة والرأفة والرحمة ، ورعاية العجزة والضعفاء فقد صار هذا المجتمع متحضرا متقدمًا بأخلاقه وقيمه ونظرته المتأملة لما يجري في هذا الكون .

وكلما كان الإنسان أكثر تحررًا من نزعته الفردية الأنانية ، مراعيا حق الجماعة والمصلحة العامة كان أكثر تحضرا وتقدمًا ، ذلك ان حضارة البشر لا تقاس بالتقدم المادي (الصناعي - العلمي) إلا بقدر ما يخدم هذا العلم ، وهذه الصناعة الإنسانية .

وعليه فإذا كانت هذه أو هذا العلم من شأنه أن يهدم البشرية ، أو يلحق اضرار بها ، فإنه ليس من الحضارة في شئ ، وإنما هو عامل افساد ودمار.

وإذا قيل : أن تقدم الصناعة يعني تقدم العلم ، والعلم جانب عظيم من جوانب الحضارة ان لم نقل أساسها .

قلنا : نعم ، لكنه إذا اسئ استعمال هذا العلم ، وهذه الصناعة ، فلن يكن الذين اساؤا الاستعمال من أصحاب الحضارة .

« إن الإنسان قد يصنع الحضارة ، ولكنه نفسه قد يكون غير حضاري ، أو غير متحضر ، قد ينتج بطاقته الفكرية على الأخص ما يسهم في بناء جانب الحضارة الفكرية الفلسفية ، أو العلمية والقانونية ، ولكن طاقته الأخرى الوجدانية أو السلوكية العملية ليست من التهيؤ والنضوج بحيث تجعل متحضرًا ، بالإضافة إلى ماله من اسهام في الحضارة الفكرية » (١) .

يقول الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني (٢) : إن الذي يميز الحضارة

(١) الدين والحضارة الإنسانية : ص/٦٨ للدكتور محمد البهي .
(٢) موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة : ١١٢ بحث مشارك في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المنعقدة بالبحرين في شهر فبراير ١٩٨٥م .

الإسلامية ، أن العرب يوم آمنوا بالإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة ، طبقوه في حياتهم ، وحملوا رسالته إلى غيرهم واقعا وسلوكًا ودعوة ، في صورتها الإيمانية والعملية ، فكانوا بناة حضارة إنسانية ، وكانوا حضاريين لأن سلوكهم العملي كان سلوكا إنسانيًا ، حملوا مبادئ الحق والعدل والمساواة ، وطبقوها بأمانة مع الصديق والعدو ، والغني والفقير، والقوى والضعيف ، وكانت مؤسساتهم مدارس لأخلاقهم وقيمهم ومبادئ دينهم ، وكانوا حضاريين في إقامة المجتمع على أسس إنسانية من الاخوة و المحبة و الرحمة و الإيثار ، و البعد عن الأنانية و الفردية والاستغلال ، والتحكم لمصلحة طبقة على طبقة ، أو مذهب على مذهب .

ويعتبر الرسول -ﷺ- وما صدر عنه من أقوال وأفعال قمة الحضارة الإنسانية ، فهو حين هاجر إلى المدينة كان أول عمل يقوم به بناء المسجد الذي يجتمع فيه الناس لعبادة الله وحده وتطهيرًا لنفوسهم ، وتهذيبًا لها ، وشكرًا للمنعم على ما تفضل به عليهم من نعم ، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار تحقيقًا للأمان ، واستقرار النفوس ، ثم أمر ببناء سوق للمسلمين بعيدًا عن سوق اليهود الذي يتعامل بالبيوعات الممنوعة شرعًا ، وحرر الوثيقة المعروفة التي تبين علاقة المسلمين بغيرهم ، و وزع الأرض على المسلمين ، فقد مكن ذوى اليسار من احياء الأرض الميتة ، وملكها لهم بإحيائهم لها ، ودعى إلى البناء والأعمار ، وإصلاح الطرقات ، وحفر آبار المياه وغير ذلك من متطلبات الحياة ، حتى إنه - عليه الصلاة والسلام - جعل الناس جميعًا شركاء في الماء والكلأ والنار ، وهذا ما يدل على عمومية الحضارة الإسلامية وشموليتها ، وإنها تستهدف أسعاد الناس بإقامة الحق والعدل والمساواة ، ورعاية الضعفاء ، ونصرة المظلومين ، وكبح جماح الظالمين والبغاة والمفسدين ، والمتسلطين على رقاب الناس والمستبدين من حكام ومحكومين ، لإقامة مجتمع فاضل ، تسوده شريعة الله الخالدة ، عقيدة وسلوكًا ومنهجًا .

ومن هنا يصبح الجهاد في الإسلام صراعا حضاريا بكل المفاهيم ﴿ ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾ (٢).

وقال جل شأنه : ﴿ يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ (٣).

وهكذا تتصارع الحضارات ، ولكل منها انصارها ان حقا فحقاً وان باطلا فباطلا ، ذلك ان العلم وحده لا ينفع دون عاصم من خلق ، والقوانين واللوائح والأنظمة لا تصلح دون وازع الضمير ، لذا كانت حضارة الإسلام يغلب عليها الطابع الأخلاقي الذي يلاحظ في تربية الفرد ، وفي تكوين الأسرة ، وبناء المجتمع ، كما يلاحظ في إقامة الدولة ، وعلاقتها بالافراد والدول في السلم والحرب ، وتنظيم شؤون الناس في شتى مجالات الحياة .

إن الخلق الكريم هو الضمان الوحيد لكل مجتمع من الانحراف ، ولكل دولة من الظلم ولكل حضارة من الفساد .

هذا هو سبيل تكوين الأمم وإنشاء الحضارات ، فإذا ما أردنا لحضارة الإسلام الثبات والدوام ، فلنبدأ بمجاهدة النفس صيانة لها ، وحفاظا على فطرتها ، فتغيير النفوس هو الانقلاب الكبير ، والإصلاح الشامل لكل مجتمع وأمة ، وإن القوانين والعقوبات وحدها لا تكفي مهما كانت رادعة قاسية ، ومن ثم كان ميدان جهاد النفس والضمير الوسيلة الأولى للارتقاء بالإنسان إلى اسمى درجات الكمال .

... ...

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥١ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .
(٣) سورة الرعد ، الآية : ١٧ .

نظرة تاريخية سريعة حول علم الدلالة

بقلم : الدكتور محمد عبد الشهيد النعماني
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كراتشي - باكستان

علم الدلالة :

لا شك أن علم الدلالة (Semantics) من العلوم التي اكتشفت حديثا ، بل من أحدث فروع علم اللغة كلها وبدأ الاهتمام بهذا الفرع من اللغة في القرن التاسع عشر .

ولكن الدلالة والبحث حولها من البحوث القديمة شغل بها الفلاسفة والمناطقة من اليونان والرومان والهنود .. وأسهب في بحثها علماء العرب اللغويين ونحن نعرف جهود اللغويين والبلاغيين من العرب في هذا .

كان اهتمام فلاسفة الرومان واليونان منحصرا في بحث العلاقة بين أصوات الكلمات ومدلولاتها وبين الكلمات نفسها ومدلولاتها وعما إذا كانت هذه العلاقة رمزية أو أنها مجرد مصادفة أو بألفاظ أخرى : بين الدال والمدلول أو اللفظ والمعنى .

وكذلك بدأ النقاش بين فلاسفة الهنود واللغويين في موضوع علم الدلالة منذ بدأ التفكير اللغوي عندهم وخاضوا فيه خوضا عميقًا حتى ظهرت فيهم مدارس في مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى فمنهم من أثبتوا أن العلاقة بينهما علاقة فطرية قديمة وطبيعية ومنهم من أثبتوا أن علاقتهما ضرورية شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان .

وأدلى أصوليو العرب والمناطقة دلوهم في هذا الموضوع أيضًا فنقل عن

الرازي أنه قال : لا يجب أن يكون .. معنى لفظ لأن المعاني التي يمكن أن تعقل لا تتناهى والألفاظ متناهية لأنها مركبة من الحروف والحروف متناهية والمركب من المتناهي متناه .

واستدل عليه جماعة بأن اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة في الذهن فإنه مثل المعنى . وذهب الأصوليون في أبحاثهم في الوضع إلى ضرورة وجود المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله .

واختار هذا المذهب جماعة من اللغويين منهم ابن جني فإنه عقد له بابا في مصنفه الكبير « الخصائص » تحت عنوان : « مناسبة الألفاظ للمعاني » .

وللمناطقة كذلك باع طويل في مسألة « الدلالة » اللفظية فقد بحثوا هذا الموضوع في كتبهم ومصنفاتهم وقسموا الدلالة إلى ثلاثة أوجه متباينة :

١- المطابقة . ٢- التضمين . ٣- الالتزام .

كما ذكرنا أن أول بحث ظهر حديثا في علم الدلالة (Semantics) كان في أواخر القرن التاسع عشر . وأول من استخدم كلمة سيمانتيك كان هو العالم الفرنسي بريال (Breal) عام ١٨٩٧م في بحث له بعنوان : « مقالة في السيمانتيك » (Essai de Semantiqui) .

واعتبر بحثه وقتئذ ثورة في دراسة علم اللغة وأول دراسة حديثة لتطور معاني الكلمات .

وقد استعمل فيما بعد المصطلح الإنجليزي (Semantics) كمقابل للمصطلح الفرنسي (Semantique) واختار جماعة استخدام المصطلح الإنجليزي (Semasiology) ولكن الفضل والغلبة للمصطلح الأول نظرًا

لقصرة وسهولة نطقه .

ومن الواضح أن علم الدلالة بالمعنى العلمي الدقيق من أصعب المستويات اللغوية وأشقها على نفس الدارسين لأنه يعرض لمشكلة المعنى . والمعنى اللغوي كما هو معروف موضوع يتعلق بكل شئ في حياة الإنسان ثقافاته وخبراته . وقيمه ومثله وعاداته وليس من السهل على الدارس أن يحدد هذا كله ويتعرف عليه تعرفا دقيقًا إلا بدراسة طويلة شاقة .

ولهذا ذهب طائفة من اللغويين إلى إخراج مشكلة المعنى نهائيًا من البحث اللغوي .

ويرى فريق آخر أن علم الدلالة نفسه ليس من فروع علم اللغة وإنما هو حقل للدراسة يرتبط بميادين أخرى كثيرة كالمنطق والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع .

وأما من تعرف من اللغويين لهذا العلم ولدراسة المعنى فقد ظهر الخلاف فيما بينهم فيما يتعلق بوظيفة هذا العلم وفي المعنى نفسه .

ومعظم العلماء يعرفون علم الدلالة بأنه ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى . وهذا التعريف يستلزم أن يكون موضوع علم الدلالة هو أي شئ أو كل شئ يقوم بدور العلامة أو رمز هذه العلامات أو الرموز . قد تكون كلمات وجملا .

ورغم اهتمام علم الدلالة بدراسة الرموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطق اللغة فإنه يركز من بين أنظمة الرموز على اللغة باعتبارها ذات أهمية خاصة في حياة الإنسان .

ومن أجل اهتمام علم الدلالة بكل ما يحمل معلومات فإنه يشتمل بحوثا كثيرة استقل الآن كل من الأخرى وأصبح موضوع شعبة دراسة قائمة

بذاتها وأهم هذه البحوث ما يلي :

١- البحث في معاني الكلمات ومصادر هذه المعاني وصوت بعض « معاني الكلمة ونشأة معان جديدة » .

٢- البحث في القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغير ابنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك ، ويطلق على هذا البحث اسم المورفولوجيا « علم البنية » .

٣- البحث في أقسام الكلمات وأنواع كل قسم و وظيفته في الدلالة وأجزاء الجملة وترتيبها وأثر كل جزء منها في الآخر ، ويطلق على هذا البحث اسم السنتكس .

٤- البحث في أساليب اللغة واختلافها باختلاف فنونها وباختلاف العصور والأمم الناطقة بها والطرق التي تسلكها الأساليب في تطورها ويطلق على هذا البحث اسم « استيليستيك » .

وعلم الدلالة لا يقف فقط عند البحوث المذكورة بل يهتم كذلك بالإنسان وعادته الاجتماعية وطرق الاتصال القائمة بين الأفراد والآلات المستخدمة في ذلك . وأكثر اهتمامه يتوجه للعمليات العضوية المركبة في الفم وأعضاء النطق بالنسبة للمتكلم وتتبع ما تحدثه من اهتزازات هوائية تلتقطها أذن السامع .

وكذلك يهتم علم الدلالة بمبحث العلاقة بين الدال والمدلول أو اللفظ والمعنى .

من أشهر علماء علم الدلالة الحديثة :

١- وتني (Withne) من بريطانيا وأشهر مؤلفاته :

أ- حياة اللغة (ظهر عام ١٨٧٥م) .

ب- اللغة ودراستها ظهر عام (١٨٦٧م) .

٢- آرسينى دارنستتير (Arsene Dranesteter) (فرنسي) .

أشهر مؤلفاته : حيَاة الكلمات (La Vie Des Mots) .

٣- بريال (Breal) (فرنسي) . أشهر مؤلفاته :

بحث في السيمنتيك (Essais de Semantique) ظهر في طبعة إنجليزية بعد ثلاث سنوات فقط . عنى المؤلف فيه ببحث الدلالة في بعض ألفاظ اللغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهندية الأوربية مثل اليونانية واللاتينية والسنسكريتية وأعتبر بحثه وقتئذ ثورة في دراسة علم اللغة وأول دراسة حديثة لتطور معاني الكلمات .

٤- ألبير دوزا (Albert Dauzat) (فرنسي) . أشهر مؤلفاته :

أ- فلسفة اللغة ، في موضوع السيمنتيك .

ب- حياة اللغة ، في موضوع السيمنتيك .

ج- اللغات العامية أو الريفية .

د- دراسات لغوية للهجات أو فيرني السفلي .

هـ- كروس (Croce) من إيطاليا .

و- فونت (Wundt) من ألمانيا .

ز- تام (Thumb) من ألمانيا .

ح- مارب (Marbe) من ألمانيا .

وأما : رتشرد (Richard) ، و أوكدين (Ogden) .

فاشتهر تأليفهما :

معنى المعنى (The Meaning of Meaning) أنهما وضعا في هذا الكتاب نظرية للرموز والعلامات وعرفا ستة عشر تعريفا للمعنى وعالجا مشاكل

الدلالة من نواحيها المتعددة المعقدة وبحثا في ضوء النظم الاجتماعية وفي ضوء علم النفس من شعور وعاطفة .

١ أولمان (Ulman) من ابرز المتخصصين الحاليين في دراسة المعنى . أشهر مؤلفاته :

أ- علم المعنى (Semantics) .

ب- أسس علم المعنى (Principle of Semantics) .

ج- دور الكلمة في اللغة (Words and their use) .

« ترجم الدكتور كمال بشر هذا الكتاب إلى اللغة العربية ، ونشر من القاهرة أكثر من مرة » .

من المؤلفين العرب :

الدكتور إبراهيم أنيس : أشهر مؤلفه في السيمانتيك ، دلالة الألفاظ (طبع مرارا) .

حازبه مؤلفه جائزة الدولة التشجيعية للأدب عام : ١٩٥٨م .

موقف قدماء العرب في موضوع علم الدلالة :

من المعروف أن اللغويين القدماء لم يعتنوا ببحث الدلالة كما اعتنوا ببحوث أخرى من اللغة وخاصة ما يتعلق بشكل الكلمة ومادتها مثل الاشتقاق والأبنية المتعلقة بشكل الكلمة ومادتها .

ومع ذلك نرى أنهم عالجوا كثيرا من المسائل المتعلقة بمعاني الألفاظ ودلالاتها وكانت مصنفاتهم المعجمية وخبرتهم الميدانية سابقة على النظر العقلي في قضية الدلالة .

إن أول مجهودهم باللغة في علم المفردات العربية وهو على يد من اللغويين الذين عاشوا في القرن الثاني للهجرة ، ومن أشهرهم خليل بن

أحمد الفراهيدي سنة ١٧٠ والأصمعي سنة ٢١٢ وأبوزيد سنة ٢١٤ .

هؤلآء خرجوا إلى البادية وألفوا كتبا في موضوعات الحياة البدوية . وليس هذا العمل إلا تصنيفا للغة بحسب الموضوعات والمعاني .

وبجانب هذا الجهد المعجمي الذي ظهرت ثماره في مئات المجلدات هناك دراسات حول القضايا الدلالية بعضها مما يدرس في علم اللغة الحديث وبعضها مما يطرح اطراحا .

فذهب معظم اللغويين في بحث حول الدلالة إلى بحث كيفية اكتساب اللفظ لدلالته وأبحاثه له وقضية الحقيقة والمجاز والمشترك والاضداد وقضية الترادف وغير ذلك من القضايا اللغوية .

وسبب وقوف العرب عن البحث حول الدلالة حرصهم وحفاظهم على اللغة القديمة ، لذلك نرى أنهم يسمون الاستعمال باللمولد وقصروا قبولهم على لغة القدماء التي حدودها بزمان معين وأمكنة معينة ، وقد وضعوا في هذا مصنفاتهم التي أسموها لحن العامة أو ما يشير إلى ظاهرة التطور الدلالي .

حتى قرر ابن فارس أن أي تغير يطرأ على المعنى موقوف على ما سمع ، إلا أن ذلك كله لم يوقف الحركة المستمرة لتطور الدلالة اللفظية .

ولتطور الدلالة وتغيرها في اللفظ طرائق مختلفة نص الدارسون وأهمها :

١- التعميم . ٢- التخصيص . ٣- تغير مجال الدعوة .

٤- الاستعارة والمجاز .

وهناك عوامل أخرى للتطور الدلالي وهي عوامل نفسية اجتماعية منها :

١- رقى الدلالة وانحطاطها . ٢- المحظور .

٣- التحول نحو المعاني المضادة . ٤- حسن التعبير .

٥- سوء فهم المعنى . ٦- تماثل صورة اللفظ .

٧- تغير المعنى تبعا لتغير اللهجة .

وغير ذلك مما كان له الأثر الكبير في تطور معاني المفردات .

بعض المؤلفات القديمة حول الدلالة :

ظهرت في اللغة العربية منذ وقت مبكر كتب كثيرة تحتوي من قريب أو بعيد للبحث في اللفظ وصلته بالمعنى ، وكان لكتب غريب القرآن ومشكل القرآن أكبر الأثر في توجيه البحوث اللغوية في مدلول اللفظ .

ونهج اللغويون في بحوث المدلول مناهج مختلفة ونتبين بعض المناهج من هذه الدراسات لتعكس ألوانا من الدراسات الدلالية :

١- سيبويه :

عقد للدلالة فصلا في مصنفه الكبير « الكتاب » قسم فيه ألفاظ العربية حسب انصرافها إلى دلالتها معنونا إياه (باب اللفظ للمعاني) .

٢- قطرب :

« مثلثات » نشرها الدكتور ادغست هتر ضمن « البلغة في شذور اللغة » من بيروت سنة ١٩١٤م .

وهو نمط فريد من التأليف في الدلالة لأنه أول من ألف في المثلثات والمقصود بالمثلثات هو الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعان مختلفة من مثل قوله :

إن دموعي غَمِرُ و ليس عندي غِمرُ

يا أيها ذا الغُمُر اقصر عن التعتب

والمثلثات نوع من المشترك اللفظي وهو من الموضوعات التي تصور نمطًا خاصا من أنماط البحث في دلالة اللفظ له القيمة الكبرى في تحديد كثير من المعاني الخاصة باللفظ الواحد التي اختلط الأمر فيها على الدارسين في ظواهر اللغة .

٣- أبو العميثيل الأعرابي : (٢٤٠هـ) « عبد الله بن خليد » .

كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه « إلا أن شهرة الكتاب » « بالمأثور» يتناول المشترك اللفظي بوجه عام وهو معجم للألفاظ المشتركة يذكر المؤلف بعد ذكر كل مادة على عدد معانيها .

واللاحظ على المؤلف إغفاله الروابط الدلالية الواضحة بين معاني الكلمة فقد يعتبر ما هو في الأصل معنى واحد عدة معان هي أوجه اللفظة مثال ذلك .

القلت على ستة أوجه :

١- الحفرة أو النقرة تكون في الجبل يجتمع فيها ماء السماء .

٢- ما اطمأن من الخاصرة . ٣- ما بين الترقوتين .

٤- عين الركبة . ٥- ما بين الابهام والسبابة .

٦- النقرة في أصل عين الفرس والبعير ما بين العينين والأذن .

و واضح من الأوجه التي ذكرها أنها تلتقي في المعنى الحسى الأول وهو النقرة أو الحفرة في الجبل ، ونعرف أن في الأمر تطورا دلاليا دعته المشابهة مرة والتخصيص تارة حتى صارت اللفظ منصرفة إلى هذه المعاني جميعا وهي في الأصل شئ واحد وهو النقرة مهما كان حجمها وسعتها وأين ما كانت ، وعلى كل حال كتاب أبي العميثيل صورة صادقة للبحث القديم في مسألة الدلالة .

٤- أبو عبيد قاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ .

« كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى » .

يتناول الكتاب كلمات المشترك اللفظي في الحديث النبوي طابع المؤلف فيه الاختصار الشديد والاكتفاء في معظم الأحيان بذكر الكلمة ومعناها دون ذكر أمثالها أو اقتباس شاهد عليها .

وهذا الكتاب مستخلصة من كتابه المشهور « غريب الحديث » .

٥- المبـــــرد :

« كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد » موضوع الكتاب كلمات المشترك اللفظي التي وردت في القرآن الكريم ولكن المؤلف لم يكتف بذلك فقيد نفسه أكثر من المشترك .

٦- كراع النمل أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي سنة ٣٢٠هـ .

المنجد في ما اتفق لفظه واختلف معناه قسمه المؤلف إلى ستة أبواب ،

وترجع قيمة الكتاب إلى ما يأتي :

أ- انه أقدم كتاب يحتوي على قرابة ٩٠٠ كلمة .

ب- أول كتاب تبدو فيه روح النظام .

ج- من أوائل الكتب التي روعي فيه ترتيب المادة اللغوية وصورة الكلمة التي تنطق بها لا جذرها .

د- إنه من أوائل الكتب التي روعى في ترتيبه ثوانى الكلمات كذلك .

هـ- إن كثيرا من مادته اللغوية مأخوذ من المراجع القديمة لم تصل إلينا ولذا يعد كتاب الكراع أقدم كتاب يحتوي عليها .

و- إنه يحتوي على مجموعة لا بأس بها من التعبيرات المحلية وبخاصة

تلك المنسوبة إلى جنوب العرب ومصر .

٧- ابن دريد (٣٢١هـ) . اللاحن (هي الكنايات أو التوريات) .

وهو لون آخر من ألوان البحث في الدلالة . يقوم على ما يمكن أن يرمز إليه اللفظ من معنى غير معناه الشائع المألوف على سبيل الكناية واللغز والمحاجاة .

وذكر ابن دريد في هذا الكتاب بالألفاظ وما يمكن أن يقسم عليه من معانيها ويبين المعنى الأصيل والمستعار .

نشر هذا الكتاب إبراهيم طفيش الجزائري من القاهرة .

فهذه الكتب هي نماذج من مئات الكتب المدونة في دلالة الألفاظ تعكس ألوانا مختلفة من هذه الدراسات المتشعبة الكثيرة في هذا الميدان الواسع .

وكان من الضروري دراسة الدلالة دراسة موسعة تبسط فيها كل الآراء والنظريات المتعلقة بدلالة اللفظ ودلالة الصوت وعوامل التطور والتعرف على نماذج مما ألف القدماء في هذا الموضوع .

... .

بعض المراجع :

(١) على عبد الواحد وافي : علم اللغة ، مصر دار نهضة مصر عام ١٩٦٧م .
(٢) علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة .
(٣) دكتور أحمد مختار عمر : من قضايا اللغة والنحو ، مصر : عالم الكتب عام ١٩٧٤م .
(٤) محمود فهمي حجازي : علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، مصر : الهيئة المصرية العامة عام ١٩٧٠م .
(٥) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ، مصر: مطبعة الانجلو المصرية عام ١٩٧٦م .
(٦) استيضن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، مصر : مطبعة الشباب .
(٧) محمد حسين آل لسين : الأضداد في اللغة ، بغداد : مطبعة المعارف عام ١٩٧٤م.
(٨) ج. وندريس : اللغة ، مصر : مطبعة الانجلو المصرية .
(٩) كمال محمد بشر : دراسات في علم اللغة ، مصر : دار المعارف سنة ١٩٧١م .
(١٠) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، مصر : الهيئة المصرية العامة عام ١٩٧٢م .

صور و أوضاع :

الكارثة الطبعية ، وكارثة طبيعة الإنسان

واضع رشيد الندوي

اجتاحت سلسلة من الهزات الأرضية منطقة واسعة في ولاية مهاراشترا بغربي الهند في ٣٠ سبتمبر ١٩٩٢م ، ودمرت ثمانين قرية في لاتور وعثمان آباد ، في دقائق ، ويقدر عدد السكان في المنطقة بأكثر من مائة وثلاثين ألفًا ، وأفادت التقارير الأولى بأن أكثر من ٣٥ ألفًا قد دفنوا تحت الانقاض ، وتم اخراج حوالي عشرة آلاف جثه من المدفونين تحت انقاض ودمرت البيوت المتهدمة بكاملها ، وتفيد التقارير الصحفية بأن عدد المنكوبين أكبر من العدد الذي تقدره الجهات الرسمية .

ومن الغريب أن المنطقة التي نكبت بهذه الكارثة كانت تعتبر من المناطق المأمونة من الزلزال ، ولذلك لم تتخذ إجراءات للوقاية من الزلزال كما هو من العادة في المناطق التي تحدث فيها الزلازل لوقوعها في حزام الهزات الأرضية ، كآسام وبنغال ، ومنطاق أخرى في شمالي الهند ، حيث تتكرر حوادث الزلزال ، ولذلك كانت الخسائر في هذه المنطقة المنكوبة أخيرًا ، أوسع ، وقد هزت هذه الكارثة البلاد بكاملها ، واثرت هذه الكارثة في العالم الخارجي أيضًا ، وقدمت دول كثيرة مواد الاسعاف ، حسب إمكانياتها ، وحسب صلتها بالهند ، وحسب مصالحها ، وقدمت دولة

الكويت معونة محترمة ، تزيد عن معونات بعض الدول الكبرى ، ما يدل على صلة الكويت الوثيقة بالهند ، وقدمت كذلك باكستان مواد الإسعاف ، وأبدت تأثرها بهذه الكارثة الإنسانية ، رغم الخلافات الشديدة بين البلدين ، وذلك واجب إنساني ، وتلقت الهند هذه المساعدات بطيب الخاطر مشكورة واعتبرت هذا العمل مواساة ، وتعبيرًا عن العاطفة الإنسانية .

وقد قدمت الدول المساعدة هذه المساعدات بدون أي اعتبار للعنصر الذي نكب بهذا الحادث ، ولطبيعة الصلات القائمة بينها وبين الهند ، فإن بعض الدول التي قدمت المساعدة لم تكن على صلة طيبة مع الهند ، بل يوجد بينهما صراع ، لوجود قضايا ، معقده بينهما ، ويتهم كلاهما الآخر بالتدخل في الشئون الداخلية ، واحداث قلاقل في البلاد ، ولكن لم تحل هذه القضايا دون تقدم أي بلد من هذه البلدان بالمساعدة الإنسانية ، ولم ترفض الهند هذه المساعدة باعتبارها تدخلا في الشئون الداخلية .

هذا هو الشعور الإنساني النبيل الذي يبرز عادة أثناء كل نكبة أو مأساة إنسانية ، ولمواجهة مثل هذه الأوضاع الطارئة توجد في العالم جمعيات ، ومنظمات للاغاثة ، كجمعية الصليب الأحمر ، والهلال الأحمر ، وهناك وكالات تابعة للأمم المتحدة ، وهناك منظمات لانقاذ المباني الأثرية ، والمعابد القديمة ، تعمل عملها إذا حدثت نكبة ، وهو عمل مشكور ، ويجب أن يعترف بهذا الجميل ، وكثير من هذه المنظمات توجد في الدول الأوربية فتسرع هذه المنظمات لعملية الانقاذ ، وكذلك إذا تعرضت سفينة ، أو طائرة ، لحادثة تسرع جميعات الإنقاذ والإسعاف للنجدة ،

أو إذا شب حريق ، فلا يرى أحد من هو المنكوب ، وما هو جنسه ، وعنصره وعقيدته ، لأنه واجب إنساني ، وتزداد أهمية هذا الواجب في عصر الحضارة والحقوق الإنسانية التي وضعت لها مواثيق عالمية ، ويعتز بها دستور كل بلد .

ولكن في الوقت الذي يتقدم العالم للاستجابة لنداء الضمير الإنساني في مثل هذه الكوارث الطبعية ، ويتخذ الإجراءات اللازمة ، و تتجاوب الدولة المنكوبة مع هذه الإجراءات ، من الغريب انه إذا وقعت الأحداث التي تصبح فيها طبقة مستهدفة لأعمال القتل ، والنهب ، والمعاناة ، والحرق ، وانتهاك الحرمات ، و تتعرض المباني ، و المعابد للهدم ، و الإهانة ، ويتضاعف عدد المصابين بجراء أعمال طبقة أخرى من الإنسان لا يثور ضمير الإنسان ، وإذا ثار ضميره اعتبر ذلك تدخلاً في الشئون الداخلية إنها ظاهرة غريبة .

ويمكن أن يقال إن ضمير الإنسان لا يثور لأن الإنسان هو سبب هذه المعاناة ، ويصبح فريق من فرقاء هذه الحوادث معتديًا ، وآخر معتدى عليه ، ولكن أليس من واجب الضمير الإنساني الحر أن يأخذ بحجز المعتدى ويمنعه من الاعتداء ، للحد من معاناة البشر ، ولتضييق نطاق التدمير ، ولصيانة حقوق الإنسان .

لقد لقي في هذه الهزات الأرضية ثلاثون ألف شخص حتفهم ودمرت ممتلكاتهم ، ولكن لهم دولة ذات إمكانيات هائلة ترعى شئونهم ، وشعب كامل يستعد لإنقاذهم ويتبرع كل مواطن من دخله لتخفيف معاناتهم ، وهو حق مشروع ، و واجب إنساني ، ويتقدم أعضاء الأسرة البشرية

لاسعافهم ، و لكن تتعرض مجتمعات بشرية في بعض أنحاء العالم اليوم لحوادث خسائرها أوسع من خسائر هذا الزلزال ، ومعاناة الإنسان فيها أكبر من معاناة الإنسان في الزلزال الأرضي الموقت الذي لا يدوم إلا دقائق .

لقد قتل ٢٥٠ ألفًا في البوسنة والهرسك ودمرت مساكنهم ومساجدهم ، ولا تزال تحدث هذه الوقائع المؤلمة ، ويواجه عنصر كامل من العناصر الإنسانية الإبادة الكاملة ، وتنتهك حرمات النساء ، بطريق وحشي لا نظير له في التاريخ لمجرد اختلافهم في العقيدة ، ويقوم بمثل هذه المجزرة اتباع دين يدعون بالمحبة والإنسانية ، ويتهمون المعتدى عليهم بالإكراه .

إن هذه الكارثة أكثر من زلزال هزكيان منطقة مهما كانت هذه المنطقة شاسعة ، وأكثر تدميرًا و معاناة ، ولكن لا يسمع نداء هؤلآء المنكوبين بل تفرض عليهم قيود ، وتملى عليم الشروط للمساعدة ، وتمنع عنهم الوسائل للدفاع عن أنفسهم ، وتتفرج على معاناتهم الدول الكبرى وتبدى كأنها عاجزة عن الدفاع عن هذه الطبقة من الناس .

هل قوة الصرب أكبر من قوة أمريكا التي تدعى أنها سيدة العالم ، ومن قوة حلف ناتو ، والاحلاف الأخرى ، فلا يتصدى أحد لمنع هؤلآء الطغاة الوحوش من ممارسة أعمالهم الوحشية ، ولا تصل إليهم المعونات المالية والمادية ، إلا فلوس الفقراء والمساكين من المسلمين ، أما الدول الإسلامية فضلا عن الدول غير الإسلامية فهي مكبلة بالقيود التي وضعتها عليها الدول الكبرى التي ترتبط بها مصالحها .

إنها أيضًا كارثة إنسانية ، وهناك كوارث مماثلة في أنحاء العالم الأخرى يشقى المجتمع البشري فيها ، بتصارع المصالح السياسية ، والتحفظات القومية والميول الفكرية ، وتتفاقم الأوضاع وتتسع دائرة المعاناة لعدم تحرك قوى الإنقاذ .

لقد كان من واجب الإنسان أن يتقدم لإسعاف كل من هو منكوب ، وينصر المعتدى عليه ، بدون التمييز على أساس العنصر والجنس ، والعقيدة ، كما يتقدم في أحوال الكوارث الطبيعية ، لأنها كوارث نشبت من طبيعة الإنسان الفاسدة ، والإنسان إذا فسدت طبيعته فهو أخطر من أي زلزال وخسائره أوسع من خسائر الزلزال .

ولا يغيبن عن البال أن الزلازل الطبيعية تحدث أيضًا نتيجة لفساد طبيعة الإنسان ، و انغماسه في المعاصي ، وإذا درست خلفيات مثل هذه الكوارث الطبيعة عرفت حقائق مؤلمة ، فإن دعوة المظلوم قد تكون سببا لزلزال ، وانتهاك حرمة امرأة قد يكون سبب زلزال أو كارثة ، وليس ذلك من المستغرب ، بل له أمثاله في التاريخ ، وقد سقطت امبراطوريات كثيرة بسبب ظلم أو اعتداء على إنسان ضعيف ، رفع يده بدعوة المظلوم فاهتز به العرش الإلهي .

... .

[يقول الله تعالى في كتابه العظيم : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم • إن زلزلة الساعة شئ عظيم • يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت • وتضع كل ذات حمل حملها • وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ (سورة الحج)]

إلى رحمة الله :

الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

بقلم : فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

لقد فقد العالم الإسلامي بوجه عام والعالم العربي بوجه خاص شخصية كبيرة من الشخصيات الإسلامية الأدبية و الاجتماعية في الأيام الماضية و هي شخصية الأستاذ الكبير عبد العزيز الرفاعي أمين عام مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية سابقًا وعلم من اعلام الأدب وعضو شرف لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

فقد كان همه الأكبر بعد أداء مسئولياته في المنصب الحكومي هو الأدب فقد كان يعقد ندوات أدبية في منزله بالرياض يحضرها المهتمون بالأدب ، ورجال الثقافة و العلم يتبادلون الرأي ويتنافشون موضوعات أدبية مهمة وبذلك خدم الأدب خدمة مشكورة جليلة وقد أصدر بجنب ذلك عددًا من مؤلفات قيمة في الأدب والثقافة .

كان الأستاذ الكبير - رحمه الله تعالى - بمثابة منتدى أدبي للمهتمين بالأدب ، و كان مركزًا للنشاطات الأدبية التي كان يقوم بها عدد منهم ، وكان منزله بذلك كعكاظ أدبية .

لقد كان المرحوم يقوم بتشجيع النشاطات الأدبية وبخاصة منها الإسلامية فقد حضر مؤتمر الأدب الإسلامي الأول الذي عقدته ندوة العلماء في عام ١٤٠١هـ في لكناؤ وكان المؤتمر عظيمًا حافلاً اشتمل على شطرين . شطر عربي وشطر للغات الأخرى من إنجليزية وأردية وهندية . واختير فيه المرحوم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي مقررًا عامًا للشطر العربي وقد ألقيت في هذا الشطر بحوث كثيرة ، وشكلت بقرار من المؤتمر أمانة دائمة للأدب الإسلامي واختير الأستاذ المرحوم أحد النواب الثلاثة للرئيس في هذه الهيئة وهي التي أسفرت فيما بعد عن تشكيل رابطة

الأدب الإسلامي العالمية في جلسة للمهتمين بالفكرة الإسلامية في مكة المكرمة .

لقد جاءت وفاة الأستاذ المرحوم عبد العزيز الرفاعي كحادثة كبيرة لأنصار الأدب العربي والأدب الإسلامي ولقد سمع سماحة أستاذنا الشيخ الجليل السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي خبر وفاته بأسى وحزن كبيرين ، وأبدى أسفه الشديد ودعا الله سبحانه وتعالى أن يتقبل من المرحوم صالح أعماله ويعفو عن الخطايا و ينزله في عظيم جناته ، ويلهم ذويه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان الشيخ عبد العزيز الرفاعي وقورا مع دماثة في الخلق ورقة في الشعور اهتم بنشر الثقافة والأدب وعرف بهذا الاهتمام وبذوقه الأدبي في أوساط الأدب والعلم وارتبط اسمه بمنجزات ثقافية عديدة في المملكة السعودية . من بينها سلسلة المكتبة الصغيرة وهي سلسلة ثقافية سعودية شارك في تحريرها عدد من الكتاب والأدباء وصدرت له جملة من المؤلفات منها : الرسول كأنك تراه - حديث أم معبد - الحج في الأدب العربي ، يوميات مئذنة مكية - خولة بنت الأزدر- من عبد الحميد الكاتب إلى الموظفين - توثيق الارتباط بالتراث الإسلامي - زيد الخير- أم عمارة الصحابية الباسلة - ارطاة السهمي - ظلال وأغصان - رحلتي من المكتبات - رحلتي مع التأليف - أعلام العلماء - الإعلام ببناء المسجد الحرام - وكان من المشاركين في إصدار مجلة « عالم الكتب » و هو عضو في لجنة الاشراف على مجلة « العربية » كان عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، والمجلس الأعلى للاعلام ، ومجمع اللغة العربية بمصر. وكان قد اختير عضوا في المجلس الشورى السعودي في عام ١٤١٤هـ ، وكان قد نال جوائز تقديرية عديدة من الدولة السعودية وغيرها ، رحمه الله رحمة واسعة .

... .

تونس اليوم

قلم التحرير

سبق أن نشرنا في العدد الخامس للمجلد الثامن والثلاثين عدد محرم - صفر ١٤١٤هـ رسالة بعثها إلينا الملحق الصحفي بسفارة تونس في الهند ، وطلب منا نشرها وأكد لنا أنها تعبر عن الحقائق الراهنة في هذا البلد الإسلامي ، الذي له تاريخ إسلامي حافل بأمجاد الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي .

ونشرنا هذه الرسالة ، ونحن متفائلون بما جاء في الرسالة من بشائر تقر عين كل مسلم ، ما كنا نظن أنها لغة السياسة المعاصرة ومجرد دعاية تجعل الرائد لا يلتزم بالمثل العربي الذي يقول : « الرائد لا يكذب أهله » .

لقد كان عجبنا شديدًا وأسفنا بالغًا حينما اطلعنا على بعض الحقائق المنشورة في بعض الصحف الهادفة الرائدة ، وهي تكذب كل ما جاء في الرسالة المذكورة أعلاه ، وإلى القراء الكرام بعض المقطوعات مما يجري في تونس الإسلامية اليوم .

١- ملاحظات زائر

قمنا بزيارة إلى تونس وصدف أننا يوم الجمعة ، فلما ذهبنا إلى المسجد وقت صلاة الجمعة فلم تقم الصلاة في موعدها ولكن أخروها إلى وقت العصر .

وعندما سألنا عن ذلك كان الجواب : إن صلاة الجمعة تؤخر إلى وقت العصر كل جمعة .

فغير معقول أن يحدث هذا الشئ في بلد إسلامي وعربي ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن العطلة الأسبوعية في هذا البلد هي يوم الأحد وليست يوم الجمعة ، وكأن تونس تدين بالدين المسيحي وليست بالدين الإسلامي .

وبعد فهذه بعض مشاهداتنا خلال زيارتنا لهذا البلد العربي الإسلامي .

عايد جامع الرشيدي - الكويت

[مجلة المجتمع ، العدد : ١٠٦٢ ، ٢٤ أغسطس سنة ١٩٩٢م]

٢- وزير الأوقاف المصري يزور تونس

في زيارته الأخيرة لتونس حضر وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد على محجوب إحدى الاحتفالات التي تحدثت فيها « وسيلة بلعيد » الأستاذة بكلية الشريعة وأثناء إلقائها لكلمتها خاطبت وزير الأوقاف المصري قائلة : « لن تنجحوا في مواجهتكم للتطرف في مصر طالما أنكم تسمحون للنساء بارتداء الحجاب » فبدت الدهشة على وزير الأوقاف المصري الذي تدخل نظيره التونسي/ علي الشابي لتلطيف الجو وبيان موقف الحكومة التونسية في محاربة الحجاب .

[مجلة المجتمع . العدد : ١٠٦٤، ٢١ أغسطس سنة ١٩٩٢م]

... .

٢- الآن تخلصت الزيتونة من عقدتها

أشرف علي الشابي وزير الشئون الدينية في تونس على سباق في مسبح بكلية الشريعة في تونس ، وقد شاركت في المسابقة طالبات كلية الشريعة في تونس وكن يرتدين « البكيني » وبعد إعطائه لإشارة الانطلاق لطالبات الشريعة اللائي يرتدين البكيني في تونس علق الوزير مبتهجًا على ذلك بقوله : « الآن تخلصت الزيتونة من عقدتها » .

« بن علي »

[مجلة المجتمع . العدد : ١٠٦٢ ، ٢٤ أغسطس سنة ١٩٩٢م]

فهل لهذه الحقائق السافرة المعلومة من تأويل ؟ وهل لها من مبرر ؟ في بلد كان يعتبر ذا تاريخ مجيد وتراث إسلامي ومنارة للإسلام ؟

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .